

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم

جامعة العقيد الحاج لخضر

الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

- باتنة -

شعر شهداء الثورة الربيع بوشامة

- أنموذج -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري

إعداد الطالبة: إشراف:

د.

جحيش سهيلة

احمد جاب الله

السنة الجامعية: 2007/2008 الموافق لـ: 1428/1429 هـ

يمثل الأدب الجزائري صفحة هامة من الأدب العربي ، غير أن الظروف حالت دون إلقاء الضوء عليها ، فالفرص التي أتيحت للحديث عن الأدب الجزائري قديمة وحديثه ، نثره وشعره قليلة جدا .

والواقع أن الأدب الجزائري الحديث زخم هائل، لم يلق الاهتمام والعناية الكافيتين ولاسيما أدب فئة من أدبائنا و شعرائنا رووا بدمائهم أرض الجزائر. وفي خضم اجتياح نشوة الإيمان بأن الأدب الجزائري لا بد أن ينال نصيبه من الاهتمام ارتأيت أن أتناول بالدراسة أحد أولئك الشعراء من أصحاب الفئة التي ناضلت بالقلم والسلاح ، فكتب لاسمه في الورى العزة و السؤدد .

و الفضل في اختيار موضوع بحثي يعود إلى رغبتني في تسليط الضوء على شاعر مغمور ودراسة إنتاجه الشعري ، إذ يعد ذلك مكسبا جديدا لرحلتنا العلمية و الأدبية وهذا ما ينتفي في التعريف بمن هو معروف ، إضافة إلى ضرورة الاهتمام بأدبنا

وإظهاره جليا في الأدب العالمي ، وهو الأمر الذي زادني إصرارا على المضي في الموضوع ، رغم وعيي الكامل بندرة الدراسات حول هذا الشاعر وآثاره عدا ديوان أشعاره الذي جمعه الدكتور جمال قنان ووضعه عام 1994 .

فهل شعر هؤلاء الشهداء مهد للثورة أم لا ؟

وهل سائر الثورة وكيف عايشها وما مدى هذه المواقبة ؟

وما مدى قدرة هؤلاء الشعراء على خلق لغة فنية خاصة بهم تحمل أحاسيسهم وتعبر عن أفكارهم الثائرة ووطنيتهم المتوثبة ؟ وكيف تجلّى ذلك من خلال شعرهم؟

و ما هي أشكال هذا التجلي؟

ولعلنا سنركز على أحد الشعراء الأساسيين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ما يزال مغفلا وهو "الشهيد الربيع بوشامة " و سنحاول أن نرحل مع شعره من حيث الوطنية والوجدانية وفنيتها الجمالية لغة و صورة وإيقاعا ولذا كان عنوان المذكرة " شعر الشهداء الثورة الربيع بوشامة أنموذجا "

وقد انتهجت في بحثي هذا المنهج الفني و المنهج التحليلي الوصفي الذي يتبع الظاهرة بوصفها وتحليلها و الغوص في أعماقها إلى جانب المنهج التاريخي الذي أحالني إلى زمن الشاعر و الإحاطة بالنصوص في سياقها الزمني ، معتمدة وسيلة الإحصاء في تعداد البحور الشعرية التي استخدمها الشاعر و القوافي والروي أيضا .

وقسمت بحثي إلى مدخل وثلاث فصول وخاتمة ، وتناولت في المدخل الحركة الفكرية قبل وبعد ظهور حركة الإصلاح الأدبية ، ثم ألقيت نظرة موسعة حول حياة الشاعر مستقصية في ذلك جوانب عديدة مثل : مولده ، تعلمه ، مسيرة حياته ، استشهاده وأهم آثاره ، وختمت المدخل بتبيان شاعرية الربيع بوشامة والتعريف بموضوعات ديوانه .

أما الفصل الأول فقد خصصته للبعد الوطني وتناولت فيه مفهوم الوطن لغة واصطلاحا وكيف هي صورته في الشعر العربي ، وتطرقت إلى تجليات الوطن في شعر الربيع بوشامة كـ : تغنيه بجمال الطبيعة وإشادته بأبطال الثورة وبدور المرأة الجزائرية و تمجيده للثورة المضفرة .

أما الفصل الثاني الذي يحمل عنوان البعد الوجداني تناولت فيه مفهوم الوجدانية لغة و اصطلاحا ، وأشارت إلى الوجدانية في الشعر الجزائري ثم حددت بعض مظاهر تجليها في شعر الربيع بوشامة كـ : رثاء الشهداء و تعظيم الأموات وحديثه عن الذاتية والهروب للطبيعة وتمسكه بقوميته حين عبر عن الجماعة وازدادت وجدانيته ظهورا في ما نظم من أناشيد .

وحاولت في الفصل الأخير دراسة البعد الفني و أبرزت أهم المعالم الفنية التي كانت واضحة في الديوان مع التركيز على اللغة الشعرية ، الصورة الشعرية ، الموسيقى الشعرية .

وقد انتهجت في بحثي هذا المنهج الفني و المنهج التحليلي الوصفي الذي يتبع الظاهرة بوصفها وتحليلها و الغوص في أعماقها إلى جانب المنهج التاريخي الذي أحالني إلى زمن الشاعر و الإحاطة بالنصوص في سياقها الزمني ، معتمدة وسيلة الإحصاء في تعداد البحوث الشعرية التي استخدمها الشاعر و القوافي والرومي أيضا .

مدخل

السيرة والديوان

1- الحركة الفكرية قبل وبعد ظهور الحركة الإصلاح الأدبية

2- نبذة عن حياة الشاعر الشهيد الربيع بوشامة

أ- مولده

ب- تعلمه

ج- مسيرته الحياتية

د- استشهاده

هـ - أهم آثاره

3 - الديوان

4 - شاعريته

الحركة الفكرية قبل وبعد ظهور حركة الإصلاح الأدبية

عرف الوطن العربي مع مطلع القرن الماضي ريحا عاصفة أتت على الأخضر واليابس ،فلحق الجزائر من جراء هذه السيطرة الاستعمارية ألوانا من الذل والهوان إذ" تسلط على الأمة عوامل ثلاثة ، لو تسلط واحد منها على أمة كبيرة لززع كيائها وهدم بناءها ألا وهي الجهل ، الفقر ، والفرقة فالجهل أفقدها شعورها بوجودها ، وكيف تذب عنه والفقر أقعدها عن العمل ، وشل أعضائها عن الحركة والافتراق أذاب قوتها و ذهب بريحتها فبقيت والحالة هذه عرضة للتلف والاضمحلال والهلاك وهي نتيجة طبيعية لهذه الحالة المحزنة التي جرى بها الظلم والاستبداد"⁽¹⁾

مع مستهل القرن وصلت الجزائر إلى حالة من الانسداد في حياتها الدينية و الفكرية فمن الناحية الدينية نجد أن الإسلام قد شوته قوة البطش بالأباطيل و الخرافات بأن قيصت بعض الزوايا والطرق التي جردته من أصالته ⁽²⁾ و سخرته لأغراض الاستعمار ومكنته من ناصية الشعب باسم العقيدة ، ومن حرية باسم الأمن والاستقرار وفي "هذا المنعرج الخطير الذي كاد يطبق فيه المستعمر على الشخصية الوطنية ويحقق غاية تطلع إليها من سبعين عاما ، كانت في زوايا متعددة من القطر الجزائري إرهابات تبشر بوجهة جديدة للحياة الدينية والفكرية ودعوة أصيلة المنبع واتصال مباشر بالكتاب والسنة فقد بدأت المشاعر الصادقة والأمانى الوطنية تتجمع وتتحفز "⁽³⁾

ولعل هذه الإرهابات الإصلاحية ، صدى لتأثر الجزائر بما كان يحدث في المشرق العربي ، وللتبادل الذي حدث بين الجزائر والمشرق أو التلقي منه ، كزيارة رواد الإصلاح الجزائري الطيب العقبي* والبشير الإبراهيمي** و عبد الحميد بن باديس*** إلى المشرق لنهل العلم والمعرفة ، كما زار الجزائر في هذه الفترة دعاة الإصلاح في المشرق ووفدت إلى الجزائر "بعض الدواوين الشعرية لرواد النهضة

(1). أبي اليقظان ، مقال تحت عنوان (شعور الأمة نائم فيماذا ننبهه؟) جريدة واد ميزاب 29 جويلية 1927 ، نقلا عن صالح خرفي الشعر الجزائري الحديث ص16

(2) عبد المالك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1934،1954) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص46

(3) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص 13

* ولد ببلدية سيدي عقبة سنة 1890 وتوفي سنة 1960 ودفن بمقبرة بلكين

** ولد بنواحي سطيف سنة 1889 م وتوفي سنة 1965 بعد أن ترك ماضيا عامرا بالأعمال الإصلاحية

*** من مواليد مدينة قسنطينة سنة 1889 م وتوفي سنة 1940 وهو رائد الإصلاح في الجزائر

العربية الحديثة في الشعر وقليل من الكتب الإصلاحية لزعماء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، واحتضنت الصدور بعض المجالات الإصلاحية تتناوب مطالعتها في شغف وتطلع " (1)

ومع فجر القرن العشرين لاحت في أفق الثقافة الجزائرية ملامح وإشعاعات نهضة فكرية وأدبية جاءت لتغير الحياة جذريا "بالعودة إلى منابع الدين الصافية ، والثورة على البدع التي استحدثها الطرقيون ونقد الواقع والخروج من التخلف المادي والتحرر من الجمود الفكري " (2) ومن الأسماء الجزائرية التي برزت في النهضة الفكرية والأدبية نجد عمر بن قدور ، في نمط فريد من المزج بين الفكر والأدب ، إذ يعد فضله "على الشعر الجزائري إلى جانب كونه شاعرا يتمثل في جريدته* التي فتحت صدرها للأنفاس الأولى من الحداثة الشعرية ، في أبناء الجزائر كما حرصت الجريدة على إعادة نشر بعض القصائد لأعلام الشعر في المشرق" (3)

كان في طبيعة وسائل لإعلام أنذاك الصحافة الحرة التي أدت دورا بارزا في بث آراء رواد الإصلاح الجزائري وإرساء دعائم نهضتهم فهذه الأخيرة بمثابة اللسان الناطق عن أسسهم ومبادئهم والإتحاد الأدبي الذي جمع شتات الأقلام الشاعرة أو الأدبية ، إذ " لا تقوم للأدب قائمة، ولا تريح له سوق ، ولا تخفى له راية ، حتى يكون له رجال ينافحون عنه ، ويدافعون عن كيانه ويهتفون بشخصه ، ثم لا يكون لهؤلاء الرجال شأن حتى يكون لهم أمكنة يضطربون فيها ، ونواد يغشونها أثناء الليل وأطراف النهار بعبارة أخرى تكون أوضح ، فإن الظاهرة الأدبية كالظاهرة التاريخية سواء ، لا يكون لها وجود ما حتى ينبغي أن تكون ذات مكان وزمان " (4) توالى الصحف الجزائرية في الظهور الواحدة تلو الأخرى رغم الحصار الشديد الذي فرضه عليها المستعمر ، وكانت الانطلاقة مع الفاروق (5) سنة 1913 م

(1) صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1979 ، ص24

(2) الوناس شعباني ، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتي نهاية سنة 1980 ، ديوان المطبوعات الجزائرية 1988 ، ص24

(3) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، محاضرة تدعيمية (د، لخضر عيكوس)

* وخاصة السلسلة الثانية الصادرة بعد الحرب العلمية الثانية إذ خصص ابن قدور فيها ركنا القريض الشعري

(4) عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 29 ، 54 (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983 ص39

(5) المرجع نفسه ص117

لصاحبها عمر بن قدور ، ثم المنتقد سنة 1925 م لزعيم الإصلاح عبد الحميد بن باديس ، وكذا الشهاب⁽¹⁾ التي عمرت عشر سنوات وبعدها جريدة واد ميزاب سنة 1926 م لأبي اليقظان ، ثم الإصلاح سنة 1927م والبصائر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽²⁾ وغيرها كثير من المجلات والصحف الوطنية التي كانت تموج بشتى أنواع الشعر من وطني إلى اجتماعي وسياسي كما تعج بالأفكار والأساليب التي تتلون بتغير الموضوعات .

ف" المرحلة حافلة بالأحداث ومن ثمة بالأفكار الجديدة التي كان لها تأثير في الأدب فصرنا نجد الحركة الأدبية تتنفس شيئا فشيئا حتى استقلت على أقدامها وهي أقوى ما تكون في آخر النصف الأول من القرن العشرين الميلادي " ⁽³⁾ فخرجت القصيدة الجزائرية بدورها عن الملامح التقليدية إذ " تخلصت اللغة الشعرية نسبيا من لغة المنظومات العلمية والفقهية واكتسب التعبير نوعا من الانطلاق والحيوية ، وتخلص

كثيرا مما يثقله من أثار الصناعة اللفظية والبديع المتكلف ، كما استطاع بعض الشعراء أن يتفاعلوا مع بعض الاتجاهات التي قد تعتبر جديدة آنئذ كالاتجاه الوجداني الرومانسي " ⁽⁴⁾

ولأن الكلمة جهاد وصرخة مسموعة ، كان لها صدى بلغت به شأوا عاليا ، عانق فيها الشاعر الرشاش ، والخطيب المدفع الهادر فتجاوزت الابتذال والتكلف ، وإن كانت معنويا لازالت تتغذى من صور المأساة ف " طغت على الشعراء وهم مقياس الإحساس القومي موجة التشاؤم والقنامة والتذمر والشكوى ، حتى أنك لتعجب وأنت تتصفح تراجمهم بأقلامهم في شعر الجزائر ، لهذه الضلالة السوداء المنسدلة على أعينهم وهذه الحشجة الخانقة لأصواتهم " ⁽⁵⁾

هؤلاء الشعراء كانوا في مقتبل العمر سنا ، ولكنهم في أجزله إحساسا وشعورا فمحمد السعيد الزاهري يفجر إحساسه بالحسرة ليوشح الأبيات التالية بلون من

(1) ينظر أبو الفاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، منشورات دار الأدب بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1977 ، ص 39

(2) ينظر عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص 118 ، 119 (

(3) محمد طمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ط 1 ، 1985 ، ص 360

(4) محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، ط 1 ، 1985 ، ص 360

(5) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 17

القاتمة الشعورية فيقول : (1)

فنسيت من بؤس الجزائر كل ما
ألقاه في الدنيا من الأتعاب
وفنيت في حب الجزائر مثلما
يفنى المحب الحق في الأحباب
في هذه الأجواء القاتمة التي تحدث عنها محمد السعيد الزاهري * ظهرت أقلام
عديدة تمكنت من أن تتجاوز التلقي إلى الإبداع الذاتي والتفاعل مع مقتضيات
التجديد ومثل هؤلاء " الشاعر رمضان حمود" ** الذي أوسع الوضعية السائدة
نقدا وتجريحا

ففي هذه البيئة الإصلاحية الثائرة التي راحت تتنفس أنفاسا جديدة ، وتتسم نسمات
منعشة ، فكراو أدبا التواقة إلى نيل المعالي وإشراق غد عنوانه الحرية ، أضى
الشعر الجزائري نوعا من أسلحة الجهاد ، فكم " كانت تقض مضاجع العدو تلك
الثورة الفكرية التي يشغل أتونها رجال الفكر" (2) لذلك كان الأديب عبئا ثقيلا على
المستعمر يحمل أكثر من سلاح على درب التحرير.

تعالى الأصوات الثورية فكانت أكثر من الأرقم وأكبر من الذاكرة ولعل من بين
هذه الأصوات الربيع بوشامة ، عبد الكريم العقون ، الأمين العمودي وغيرهم .

ناضل هؤلاء الشعراء الشهداء بالقلم والسلاح فكان لهم شرف الاستشهاد و احتلوا
مكانا بارزا في الذاكرة الوطنية، ورقما كبيرا في قائمة الشهداء

سقوا شجرة الحرية بدمائهم ليرتفع علم الاستقلال فوق هامات الشموخ ، فكان للفقيه
الربيع بوشامة هذه الوقفة الخاصة بمسيرة حياته وهذه الإطلالة على ديوانه تحية
وإجلالا .

(1) المرجع نفسه ، ص 348

*أديب ومصلح جزائري ولد سنة 1899 وتوفي سنة 1957م

** شاعر جزائري ولد بغرداية سنة 1906 وتوفي سنة 1929 تاركا كتابا سماه بذور الحياة

(2) أحمد دوغان ، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب (د ط) 1989 ، ص 45

2- نبذة عن حياة الشاعر الربيع بوشامة :

أ - مولده

الأرض التي تصدعت لمأساة الثامن ماي دمعا وجراحا ، أنجبت وليدا نافح عن الجزائر منافحة ، المجاهد العنيد الذي لم يعمر أكثر من ثلاثة وأربعين ربيعا ، لكنه اتخذ من بشاعة الواقع سلما للمجد وعنوانا للثورة .

وليد الجزائر هدية الله إذ " يهب الله قوما الذهب، ويهب آخرين معاني الورد أي الفن ... ويسعد أولئك أو هكذا يظنهم الناس ويشقى هؤلاء بالمعاني العطرة أو هكذا يبدوون" (1)

ولد الشاعر الربيع بوشامة في ولاية سطيف ، وبالتحديد في قرية قنرات ببني يعلى * دائرة بوقاعة (2) في " شهر ديسمبر 1916 م وكان المولود الثاني من بين خمسة إخوة طفلين وثلاث بنات واشتهر في طفولته بالهدوء والوداعة " (3)

مولد الشاعر كان في إطار تاريخي، العالم العربي الإسلامي فيه "يرزح تحت كابوس الاستعمار يدفع جزية التآزم السياسي والاقتصادي على أن هذا الثلث الأول من القرن العشرين قد تميز ببروز يقظة الوعي القومي في المجتمعات المستعمرة " (4)

هذه الأرض التي تنبض اضطرابا لواقعها المأساوي، احتضنت الربيع بوشامة وليدا وشابا وضمته شهيدا .

(1) نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي ، الدار العربية للكتاب ليبيا ، تونس طبعته 1977 ص129

* منطقة القبائل الكبرى بالقطر الجزائري

(2) ينظر مجلة آمال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ، (شعر ما قبل الاستقلال) وزارة الثقافة ، ج 1 ، ص 105

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ، الروبية ، الجزائر ، ط 1 ، 1994 ، ص 03

(4) عبد السلام المسدي ، قراءات في الشعر العربي الحديث ، الشركة الوطنية للتوزيع الجزائر (د ط) 1984 ، ص 14

ب - تعلمه

تلقى الربيع بوشامة أوليات القراءة ، بمسقط رأسه وتعلم القرآن وحفظه في سن الثانية عشرة (1) ليتلمذ في ما بعد على يد الشيخ سعيد صالحى عدة سنوات كما أخذ النحو والتجويد والقراءات عن الشيخ العياشى مرغيش ، و أخذ العلم على يد الشيخ الهاشمى بالمولود ، والشيخ علي الزموري و الشيخ السعيد بن عمر ... الخ (2) إضافة إلى ذلك كان الشاعر يتردد على المدرسة الفرنسية فأكمل دراسته (2) بها ليصبح من مزدوجي الثقافة " وإنطلاقا من سنة 1938 م ألتحق بالجامع الأخضر بقسنطينة ، وبقي فيه إلى أن توفي الإمام عبد الحميد بن باديس في 16 أفريل سنة 1940 م ومن ثم عاد إلى بلده ليشارك في بث الحركة الإصلاحية التي كانت في أوج عزها ، يقودها رجال مصلحون على رأسهم الشيخ سعيد صالحى وفي هذا الجو النابض وهذه الحركة الناشئة الزاهرة ، بدأت تنمو في الشاعر الروح النهضة والوطنية فساهم في إذكاء جذوتها بما يقدمه من أحاديث ومساهمات للشباب (3)

فقضى الشاعر مرحلة تعلمه يغرف من وعاء العلم والمعرفة ما جاد به الزمن وسمحت به الظروف .

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص04

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص04

(3) محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر ، مطبعة دار هومة ، ط1 ، 2000 ، ص287

ج - مسيرته الحياتية:

أتم الشاعر رحلته العلمية في مدارج صباه ومهد طفولته حيث كان على اتصال دائم بشيوخ قريته، التي غدت في منتصف الثلاثينيات إحدى قواعد الإشعاع في البلاد * فشب الشاعر في هذا المناخ وتفتق وعيه، وفي سنة 1937 م أصبح عضوا في جمعية العلماء المسلمين ، وأسس مع نخبة من شباب بلدته ناديا للشباب (1) ، وبذلك تميز الشاعر وأثبت وجوده .

انتقل إلى باريس سنة 1938م لتعزيز الحركة الإصلاحية إذ توسعت حركة جمعية العلماء فامتدت إلى فرنسا لتتقيد وتوعية المهاجرين في أرض العروبة (2) غير أنه عاد إلى الجزائر قبل انتهاء العام لسببين :

الأول : كان استدعاؤه من طرف إدارة المستعمر لإجراء الفحص الطبي للخدمة العسكرية

الثاني : يتمثل في المضايقات والعراقيل التي وضعتها حكومة فرنسا لتعطيل العمل الإصلاحي (3)

انتقل الربيع بوشامة إلى مدينة قسنطينة على إثر إعفائه من الخدمة العسكرية للالتقاء بالشيخ عبد الحميد بن باديس وقد أعجب بمستوى تحصيل الشاعر ، وكانت إقامته بقسنطينة فترة خصبة في حياته وتأثر بشخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس بالغ التأثير ، إذ رأى فيه تجسيدا حيا للروح الوطنية في خدمته للوطن ، وحرص أن لا يحيد عن نهج الإمام وتعاليمه رغم قساوة الظروف (4) ، غير أن القدر أقوى من رغبة الشاعر فقد رحل عبد الحميد بن باديس وعلى إثر وفاته عاد الربيع بوشامة إلى بلدته عاقدا العزم على المضي قدما ، كما تزوج في هذه الفترة وأنجب ثلاث بنات وولدا (5) وفي سنة 1942 م انتقل إلى مدينة خراطة وأصبح معلما بمدرستها

* في حقل العمل الوطني والإصلاحي

(1) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ص04

(2) ينظر مجلة أمال ، نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ، ص105

(3) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ، ص05

(4) ينظر ربيعي سلامة وآخرون ، موسوعة الشعر الجزائري دار الهدى ، عين أملييلة ، الجزائر ج1 ، ط1 ، 2002 ، ص131

(5) ينظر أحمد دوغان ، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، ص62

ثم التحقت به أسرته⁽¹⁾ ، وعلى إثر حوادث الثامن ماي 1945م شهدت خرابطة مأساة عنيفة اضطرت الربيع بوشامة بسببها إلى اللجوء إلى قرية آيت مرعي المظلة على المدينة مع مجموعة من أصدقائه ، وفي اليوم الثاني عادوا إلى خرابطة فألقت الجندرمة القبض عليه في منزله رفقة صديقه سي اعراب وابنه⁽²⁾

رغم حالة المرض والإعياء التي خرج بها من السجن إلا أن الشاعر انتقل إلى العاصمة وباشتر عمله * ، كمعلم في مدرسة الهداية⁽³⁾ وتمكن من إنعاشها إذ " كانت هذه المدرسة ميتة فأحيها الشيخ الربيع "⁽⁴⁾ لكن عمله لم يطل في هذه المدرسة ** إذ عين من طرف جمعية العلماء المسلمين معلما ومديرا بمدرسة الثبات في عام (1948-1949)⁽⁵⁾ و قد أنثرت حركة التعليم بهذه المدرسة وتوسعت ، وفي شهر أوت من عام 1952 م، أرسل الربيع بوشامة إلى باريس لينهض بالنشاط الإصلاحي ويدفعه قدما إلى الأمام ، ويوسع حلقة التواصل والتآخي بين أبناء الجزائر المتفرقين ويبدو أنه لم يجد الدعم الكافي لمواصلة نشاطه الإصلاحي في باريس وبعد أقل من سنة عاد إلى أرض الوطن ليباشتر مهامه السابقة كمدير عادي من الدرجة الثانية لمدرسة الثبات بالحراش⁽⁶⁾

هكذا كانت مسيرته العلمية والإصلاحية مسيرة الرجل المؤمن بالرسالة التي يحملها كمتقف ومصلح بالقلم و اللسان ، فشملت رحلته هذه محطات مهمة ومختلفة كأسفاره المتعددة وشخصيات فذة *** ومميزة كان لها تأثير كبير في شخصية الشاعر ومسيرته النضالية .

(1) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان (7-8)

(2) المصدر نفسه ، ص (8-9)

(3) ينظر ربيعي سلامة وآخرون ، موسوعة الشعر الجزائري ، ص131

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص13

(5) ينظر ربيعي سلامة وآخرون ، موسوعة الشعر الجزائري ، ص131

* منذ غرة جويلية 1946

** نظرا لتغير الهيئة الإدارية للجمعية المحلية على إثر الانتخابات التي أجرت بها

(6) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ، ص17

*** - ك : عبد الحميد بن باديس ، البشير الإبراهيمي ، الفضيل الورتلاني ، العربي التبسي وغيرهم

أما مسيرة الشاعر النضالية فإنها " تدرج في سجل أعمال المليون ونصف المليون شهيد وأعمال مئات الآلاف من المناضلين الذين كتبت لهم الحياة تحت علم الاستقلال وضمن جهود شعب تشبث بحقه في العيش كريما على أرض آبائه وأجداده " (1)

بدأت اتصالات الشاعر بجيش التحرير في الشهور الأولى من اندلاع الثورة (2)

وفي اليوم الثاني من عيد الفطر المبارك الموافق ل 13 ماي 1956 م انتقل الربيع بوشامة إلى مدينة برج بوعريريج ومنها إلى بلدة قنزات ثم قلعة بني عباس حيث اجتمع بعميروش ، وتكرر هذا الاتصال بعد أشهر وكان ذلك في غرة جانفي 1957م ، ثم غادر العاصمة في سرية شديدة ليعود من رحلته بعد حولي شهر ولم يذكر ما حدث فيها ويبدو أنه في هذه المرحلة نظم نشيده حياة ثائر (3) واتخذ من هويته المهنية كمفتش بمدارس جمعية العلماء ، وسيلة للتنقل بين مدن البلاد إذ أبعدت عنه هذه الوظيفة الشبهات لبعض الوقت وكتب في هذه الفترة قصيدته حب وحنين إذ كان يتبادل الرسائل مع زوجته (4)

في هذه المرحلة الثورية الحرجة من تاريخ الجزائر عرفت البلاد تحولا خطيرا حيث كانت ترزح تحت رحمة الأحكام الإستئنافية ، والمضليين وقوات القمع الخاصة ، فتعسر النضال في هذه الظروف إلا على من آمن بعدالة قضيته ، وكان الشاعر على قناعة مطلقة وإيمان راسخ بحرية الجزائر وشرعيتها ، وهذا ما دفعه إلى أداء مهامه النضالية على أكمل وجه .

وخلال هذه الظروف الصعبة كان الشاعر يعيش حياة قلق مستمر وتوتر دائم ، رغم أنه باستطاعته مغادرة البلاد لكنه فضل البقاء في الجزائر والموت فيها بعزة (5) في بداية جانفي 1959 م بدأ الوضع يتأزم ، فقد قامت السلطات الاستعمارية بتفكيك الشبكات الاتصالية ، وفي صبيحة السادس عشر جانفي 1959 م أُلقي عليه

(1) المصدر السابق ، ص17

(2) ينظر الأدباء الشهداء ، وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، اتحاد الكتاب، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ص 214

(3) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ، ص (19-20)

(4) المصدر نفسه ، ص20

(5) ينظر المصدر نفسه ، ص22

القبض في مدرسة الثبات ثم أطلق سراحه فيما بين الساعة الرابعة والخامسة (1)

في الليلة ذاتها أقتحم منزل الربيع بوشامة وأخذت معه أوراقه وبعد ستة أيام أعيد إلى المنزل في حالة مؤلمة كأنه هيكل عظمي ، وقد فقدت أمه البصر لهول ما رأت عيناها غير أن السلطات الاستعمارية لم تتركه لشأنه وأخذته ، لكن رحيله هذه المرة لم يكن كسابقتها ؛ لأنه لم يتمكن أحد من أسرته وأهله من رؤيته أو معرفة حتى عنوان السجن (2)

" لقد شاء شاعرنا أن يخوض حرب التحرير جنديا محاربا ، ورجلا يملك فكرا واعيا وحباً لهذه الأرض لذا جاء صوته النضالي معبرا عن ثورته وإيمانه بقضيته " (3)

هذه الوقفة كانت لمحة عن مسيرة حياتية حافلة بالنضال والكفاح المرير ، مسيرة رجل هو واحد من الذين ساهموا في رفع مشعل الثورة عاليا ، فوهب روحه لتحرير الجزائر وكرس قلمه لتحرير الوطن .

(1) ينظر مجلة آمال ، نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ، ص 106

(2) ينظر الربيع بوشامة الديوان ، ص 26

(3) أحمد دوغان شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، ص 62

د - استشهاده

ولأنه وهب دمه وقلمه للوطن ، لم يرهبه الموت ولم يثن عزيمته فظلت نشاطاته واتصالاته كثيفة خاصة مع العقيد عميروش ، إضافة إلى أشعاره ونشاطه التربوي كل ذلك دفع السلطات الاستعمارية الغاشمة لأن تصمم على إعدامه وسعت السعي الحثيث لإيجاد حجة أو ذريعة تسوق بها الشاعر إلى الموت (1)

بعد أن نقل الشاعر إلى حيث لا يعرف له مقر بقي سجيناً لدى السلطات الاستعمارية إلى أن نقلت وسائل إعلامها نبأ استشهاده في الرابع عشر من شهر ماي 1956 م وأرجعت السبب إلى اشتباك مسلح وقع بين قواتها وقوات جيش التحرير ، وعملت على إشاعة الخبر بمكبرات الصوت في مدينة سطيف ومراكز الاعتقال بالمنطقة للنيل من معنويات الشعب الجزائري (2)

وأكد بعض المساجين الذين أطلق سراحهم ، حصص الاستجواب الطويلة وبشاعة التعذيب الذي خضع له الشاعر حيث علقوه مكبلاً لأيام طويلة وقد بقي تحت الاستنطاق إلى أن استشهد (3)

وقع نبأ استشهاده كالصاعقة في مدينة الحراش واعتبر يوم حداد هرع فيه المواطنون لأيام طويلة إلى منزل الفقيد لتعزية أهله ومواساة أسرته (4)

فهنيئاً له الشهادة التي لم يودع بها الجزائر ، بل عانقها عناق الخلود ، فكان "قبتارة" ثارت وغنت حتى أن الاستعمار لم يتحمل هذا الغناء ، وثورة الحرف ولهذا سيما شاعرنا أسوأ العذاب ، صابراً أبياً مما زاد من غطرسة العدو ، ليزيد من تعذيبه حتى استشهد بين جلاديه الطغاة جسداً ، لكنه خلد روحاً وفكراً" (5) فلا شك أن شهادته عنواناً للتحدي والصمود والثورة في وجه الطغيان ، فهي للحرية لحناً وللإستقلال عيداً.

(1) ينظر محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ص 205

(2) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 27

(3) ربيعي بن سلامة وآخرون ، موسوعة الشعر الجزائري ، ص 131

(4) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ، (27-28)

(5) أحمد دوغان ، شخصيات من الأدب الجزائري الحديث ، ص 65

هـ - أهم آثاره

للشاعر ديوانا مخطوطا في شتى الأغراض الحديثة كالشعر الوطني والشعر الاجتماعي والشعر الذاتي ، نزع فيه من الناحية الفنية إلى جماعة المهجر وأبولو (1) و جملة بأصدق الصور وأنبىل المواقف .

ولنا أن ننوه بموهبة الشاعر التي جبل عليها في ربيع شبابه حين كان ينظم الأناشيد ويلحنها ويعلمها بنفسه للأطفال ، ومن ذلك إسهامه في النشيد المعروف " حيو الشمال " ، خاصة المقطع الذي يستعرض خراطة (2) كما ترك الشاعر العديد من المقالات والخطب والرسائل حسبما ذكر في وقائع الملتقى الوطني للأدباء الشهداء

لم يصلنا من آثار الشاعر إلا القليل من غزير إنتاجه ولاسيما أثناء الثورة بسبب مصادرة الاحتلال لفائف أوراقه الخاصة و جرائده، كما تخلصت أسرته من بعض قصائده حرقا أو بإخفائها عند ثقة بعيدين، أما إنتاجه الذي سبق الثورة فنشر معظمه في جريدة البصائر، إضافة إلى بقية جرائد جمعية العلماء المسلمين (3)

فالبصائر الثانية نشرت أشعارها في أعدادها التالية ع : (24 ، 25 ، 36 ، 38 ، 42 ، 59 ، 66 ، 68 ، 73 ، 75 ، 79 ، 90 ، 92 ، 93 ، 97 ، 99 ، 126 ، 193 ، 278 ، 287 ، 302 ، 313) أي من يوم (23 فيفري 1948 إلى 8 أفريل 1955) (4) امتزجت قصائد الربيع بوشامة بين الأغراض الوطنية والإصلاحية وتفاوتت النزعات فيها بين الروحية والعاطفية بما فيها من ذاتية حادة تتمثل في الحنين والأنين والشكوى كما تطرق إلى بعض الموضوعات الأخرى التقليدية كالرثاء والهجاء ، فكانت قصائده صور فنية من عمق الواقع الجزائري .

(1) ينظر ربعي بن سلامة و آخرون موسوعة الشعر العربي الحديث ص132

(2) ينظر الربيع بوشامة، الديوان ص33

(3) ينظر كتاب الأدباء الشهداء ، وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء ص103

(4) ينظر محمد زغينة من شعر شهداء الثورة التحريرية 54-62 (باتنة ، 1999 ، ص 130

و - شاعريته

كانت حياة الربيع بوشامة كحياة غيره من أهل الجزائر تستمر ضمن مشكلة ، هي مشكلة الجزائر ، التي لم يكن له يد في نشوءها ولا في تطورها ؛ لأنه ما من بشر يروم الذل والاستعباد ويبيع الحرية ، لكنه أدلى بدلوه لإيجاد حل لهذه المشكلة باعتباره شاعرا

فالشاعر غير الفيلسوف وغير السياسي وغير المربي وغير أي عامل في الأعمال الكثيرة في حقل الحياة ، فلكل واحد من هؤلاء وأمثالهم قضية محددة واضحة المعالم بينما تتضمن قضية الشاعر كل هذه القضايا ولاسيما إذا كان خبيرا بفلسفة الحياة مربيا وسياسيا وداعية ، ومصلحا للواقع الاجتماعي في آن واحد كما هو حال الشاعر الربيع بوشامة ، هذه الظروف مجتمعة ساهمت في تفتق شاعريته فعبّر عن خواطره و آرائه وهواجسه وأحاسيسه .

برز إلى الحياة الأدبية ضمن ثلة من الشعراء التي هيمن موضوع الوطنية والحرية على ماعداها من الموضوعات في شعرهم وقد كانت هناك عوامل ساعدت الشاعر على الظهور إلى معترك الحياة الأدبية بالرغم من صغر سنه (1) ومن أهمها: اتصاله المباشر بالحركة الإصلاحية عن طريق شيوخه * وعن طريق مجلة الشهاب التي اشترك فيها ، وأصبح عضو عاملا ** في حركة جمعية العلماء المسلمين وأسس مع نخبة من شباب البلدة ناديا للشباب وفي سنة 1938م أوفد إلى باريس رفقة الشيخ سعيد صالح (2)

أعجب بن باديس بمستوى تحصيله وأخبره أنه كان يتحتم عليه الوجه إلى جامع الزيتونة لكن الشاعر اعتذر بضيق ذات اليد .

وفي هذه الجمعية أدلى بدلوه في كل نشاط تقوم به ، وفي غرة جويلية 1946م باشر عمله كمعلم ، وبعد فترة وجيزة انتعشت - الجمعية - وازداد عدد التلاميذ وبعد

(1) ينظر حواس بري ، شعر مفدي زكريا ، دراسة وتقويم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994 ، ص 31

* أمثال السعيد صالح ، السعيد بن عمر ، الشيخ الفضيل الورتلاني

** وذلك سنة 1937

(2) ينظر الربيع بوشامة الديوان ، ص 04

ذلك انتدبته جمعية العلماء في أغسطس 1952 م كمعتمد لها بفرنسا ورئيس شعبتها المركزية بباريس (1)

يضاف إلى دور جمعية العلماء المسلمين دور البيئة التي نشأ فيها والمحيط الذي تحرك فيه إلى جانب ثقافته (2) إذا كان لها تأثيرها في إبراز شاعرية الشهيد وطبعها بطابع خاص، بفضل هذه العوامل تأصلت المبادئ والقيم الإسلامية وتعمقت جذورها لديه فهو من هذه الزاوية يعتبر ابن جيله الأصيل الذي أثمرت فيه الجذور التي زرعها الجيل الذي سبقه في ميدان العمل الوطني والإصلاحي والاجتماعي هذا عن الأسباب العامة التي لها دورها في شاعرية الربيع بوشامة أما عن الأسباب الخاصة فتعزى إلى استعداد الشاعر نفسه حيث كان صاحب شعور مرهف وإحساس دقيق، ونفس تواقة إلى كل ما هو سام ، يضاف إلى هذا اطلاعه على بحور الشعر وقواعد العروض بفضل أساتذته (3)

لقد تجلت الشجاعة الأدبية والنفسية بأعلى صورها في مواقف الشيخ الشاعر الربيع بوشامة قولاً وفعلاً ، ومسيرة حياته تثبت ذلك ويكفي إلقاء نظرة على قصيدة واحدة من القصائد التي كتبها أثناء الثورة لإدراك الحقيقة ، إذ تكفي واحدة من هذه القصائد لتبرر في نظر الاستعمار ليس اغتياله فحسب وإنما إعدامه بطريقة قانونية (4) كتب الشاعر قصائد عن الشعور الوطني والقومي وكتب عن الإصلاح والتربية والتعليم ، وكتب من وحي العاطفة والطبيعة بين الجمال والقسوة وعبر عن معاناة ذاتية وكانت له أناشيد مختلفة ، كما كتب في شعر الثورة وله بعض المتفرقات (5)

والواقع أنه لم يبق من آثاره سوى جزء قليل فقط سواء كان ذلك يتعلق بالشعر الذي نظمته قبل عام 1954 م مثل (ياشهابا قد تجلى ، وحي الذكرى ، فتى العرب ، شهيد

العرب ، بالاستعمار ، خراطة ، ياساحل المجد ...) (6) أو الشعر الذي كتبه أثناء الثورة ك (رعاة الحمى مهلا ، أيها الصقر المجلى

(1) ينظر مجلة آمال ، نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ، ص 105

(2) ينظر الربيع بوشامة الديوان ، ص 28

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص 30

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص 32

(5) ينظر المصدر نفسه ، ص 32

(6) ينظر المصدر نفسه ، ص 249

ياشباب العرب ، أيها المعلم حسبك ، يا صاحي حسبك ، شجون ... (1) فإنه لم يصلنا منه إلا النزر القليل .

ونظم الشاعر الكثير من الأناشيد * التي كان هو نفسه يقوم بوضع ألحان لها ، ونظر للظروف الصعبة التي مرت بأشعاره فإن ما وصلنا منه هو قليل من كبر في إنتاجه (2) الذي دخل به مسرح الحياة الأدبية

ومما لا شك فيه ، أن كل شاعر تتلمذ على غيره من الشعراء الذين كان لهم السبق في العطاء ، وأصحاب الريادة في الإنتاج، والربيع بوشامة قد تشرب الإنتاج الإحيائي الوارد من المشرق العربي ممثلاً عند أعلامه ** ، كما نجد الشاعر متأثراً ببعض الشعراء الذين عاصروهم وكان على صلة وثيقة بهم *** ، " وشعراء الجزائر كانوا متأثرين بالمدرسة الإحيائية في المشرق العربي وخير دليل على ذلك ما حوته مجلة الشهاب التي أعطت دفعة قوية في حركة الشعر الحديث في الجزائر " (3)

أراد الشاعر أن تكون حياته وحياة أبناء وطنه وأمته كما تمنّاها ، لكن الواقع شيء والأمني شيء آخر ، ومن أعماق هذه الهوة السحيقة بين واقع الشاعر وأمنيته النبيلة، تدفقت شاعريته معينا حارا .

رتل الشاعر طيلة حياته أنغاما فيها فسيفساء تمازجت فيها وطنيته المتوثبة بشاعريته المناسبة ، فكانت كلماته تنبض بالحياة والالتزام ونشر الشجاعة وبسط النصيحة وحب الوطن ، وتعبق برائحة التراب ، وتنضح غيرة على العروبة والإسلام ، فكم هي عظيمة شاعرية علمتنا كيف نحمي العروبة ؛ لأنها ذمة في

(1) ينظر المصدر السابق ، ص 249

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص 34

(3) حواس بري شعر مفدي ، ص 35

* كان يلتقيها للأطفال

** أمثال حافظ وشوقي والوصافي وغيرهم

*** كأبي القاسم الشابي في تونس

أعناقنا وكيف ننافح عن لغة القرآن ، وفوق ذلك علمتنا كيف نتحدى في حب الجزائر ، فداحة الخطب وكيف نقهر أعتى قوة استعمارية .

شاعرية الربيع بوشامة كانت تظهر كلما طرق أبواب نفسه الرحبة نتلمسها في كل بيت ، في كل روي وقافية ، إذ يروح في سباحات روحية شاعرية ثم يغد ليترجم شاعريته في غربته وحنينه ، في امتزاجه بالطبيعة في إحساسه المرفه بالأمومة وشوقه إلى الصفاء والجمال ، ولا تنحصر شاعريته هنا فحسب بل تتعدى ذلك إذ يضيف عليها الشاعر رؤية إنسانية فتغدو ذات هيبة وجلال فنجدها في نزعتة القومية الإنسانية ، في حماسته الوطنية ، في ثورته ، فجاءت قصائده تطفح بهذا الشعور الصادق وهذا الإحساس المرفه (1)

فغربة الشاعر هي غربة مختلفة يتخذها الشاعر وسيلة للتشبث بالأرض وحتمية الثورة فالشاعر يعيش في أرضه لكنه يحس أنه غريب عنها وهي غريبة عنه (2) ؛ لأنها ضمت الدخلاء ، فكانت الأقدار تلهو بروح الشاعر بين ألم الوحدة وعذاب الظلم والجور وبين أمل في حياة كريمة فكانت كلماته تتناغم في نبرة حزينة فنجدته في قصيدته "حب وحنين" يترجم غربته ومعاناته إذ يقول : (3)

زوجتي كيف أنتم والقراية	ياحبيبيا أددى بعمرى شبابـه
ما بناتي وما أخوهـن" توفيق"	رعى الله عهدهم وأطابـه
غبت عنكم ولست أعلم ماذا	حالكـم من مسرة وكآبـة
فرق اليوم بيننا فكلانـا	مبعد عن أخيه يشكو اغترابه
كم بقلبي من حرقة وجروح	لفراق الأحباب خوف الرقابة

كان الشاعر يبوح بحرقة الغربة ، وقساوة الجوى فهو مبعد من طرف السلطات الاستعمارية ، لكنه يبقى في حنين دائم إلى ذويه و أهله ، وهل هناك نداء أقوى من

.....

(1) ينظر محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، عين مليحة 2004- 2005 ، ص19

(2) المرجع نفسه ، ص18

(3) الربيع بوشامة ، الديوان 210-211

نداء الدم وفلذات الأكباد ، وهذا ما شحن شعور الغربة لدى الشاعر وحفره للتغني
بالحرقة حتى يجتمع بمن يحب ، ويترجم غربته عن أرضه ووطنه وشوقه إليهما في
قوله: (1)

وانطلاقي في الأرض طيرا غريبا ترك العيش خلفه وصحابه
بين شوق إلى اللقاء و—وف من أذى صائد يحث كلابه
كما اتخذ الربيع من الأمومة والأبوة لونا من عواطف الحنين إلى الوطن ساكبا من
وجدانه وأشجانه المشحونة بالهفة والغربة فيقول: (2)

حي الأبوة وارفع شأن واعياها دنيا السعود تعالى الله راعياها
ريح من الجنة العليا وزخرفها ميمونة تتسامى في مجاريها
وشاعرية الشهيد تبدو جليلة لما يتوحد مع الطبيعة ويشكو إليها همومه ، هموم
الإنسان الضعيف في ظل الظلم والاستعلاء ، ولعل أجمل مظهر لوجه الطبيعة
تكسبه في فصل الربيع ، فيقول مستقبلا هذا الفصل: (3)

أنت في الزمان خير عتيـد تتناجى بالروح أو بالجفون
ونجاري الأحلام حيناً ونجلو ذكريات الصبا ووحى القرون
فمعاناة الشاعر رؤى وأحاسيس وآلام وآمال شعب استبد به الاستعمار البغيض
وحول حياته إلى جحيم وشقاء وأمام هذه اللوحات المأسوية ينفث الشاعر آهاته
وزفراته في ترحيبه بالربيع فيقول: (4)

إيه بالله يا ربيع حديث النور والزهر والهوى المدفون
هات من غرك العذب أفانين جمال لمغرم مستكـين

ومن أجمل الصور التي تتمثل فيها الشاعرية الفذة جسدا سويا " الأم " هذه اللفظة
التي تعتبر بحق رمزا للدفء والحنان والعطف ، وإذ تحدثنا عن الأمومة نتحدث

(1) المصدر السابق ، ص 211

(2) المصدر نفسه ، ص 139

(3) المصدر نفسه ، ص 132

(4) المصدر نفسه ، ص 131

عن عالمها الفسيح نتحدث عن عالم الطفولة عالم البراءة و الجمال ، عالم الأحلام الجريئة فيقول في قصيدته " يا أم أنت موصولة " (1) :

تلك الأمومة عن قوم تبعد يا ليتها فينا ترى ما يسعد
جعلوا لها عيداً أغر مقدسا يعلى به تذكراها ويمجد
وتهب أقلام وألسنة فصا ح تجتلي آثارها وتتعدد
فالربيع بوشامة لا يلجأ إلى الأم ليشتكى إليها همومه بل يصورها على أنها قلبا
ممزقا ، وفي شعره الطفولي نلمس شاعريته في تلك النبرة الحزينة : (2)
ولدي ريحانة الوجدان نم مكرما في ذمة الرحمان

ومن مظاهر تغنيه بجمال الطفولة وبهائنها قوله: (3)

من كالطفولة في معانيها العلا وجمالها في النفس والأنظار
وتلك النظرة الواسعة للحياة تمثل نزعة القومية الإنسانية وهي الحلم الأكبر الذي
يراد أخيلة المفكرين والشعراء والفلاسفة وكل ذي قلب كبير وضمير حي (4) ،
وتبدو تلك العاطفة الإنسانية الكامنة في داخل الشاعر ساعات يأسه ومحاربته
الاستعمار بالقلم والأفكار متخذا الشعر قيثارته فيقول: (5)

من كل طاغ محرم يسطو على أمن الضعاف وحرمة الأخيار
ويهش - مسرورا - لرأى دمائهم ودموعهم فياضة الأنهار
مشوبة الألوان يشرب بعض؟ها بعضا وتحدث جنة الأزهار
هكذا انفجرت شاعرية الربيع بوشامة أمام المأساة التي تفجر الصخر شعرا ، وتجعل
القصيدة عالم المتعبد في محراب الشعر ، وليس في الورى قلق أكبر من قلق المتعبد
الذي يروم الحرية .

(1) المصدر السابق ، ص142

(2) المصدر نفسه ، ص152

(3) المصدر نفسه ، ص168

(4) أنس داود ، التجديد في شعر المهجر ، وزارة الثقافة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص171

(5) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ، ص61

ي - الديوان

يعد ديوانه بحق تكريما لروح الشهيد الطاهرة التي جاد بها في سبيل حرية الجزائر فكان منتهى الجود ، وإحياء لذكراه الطيبة وبعثا لقلمه الذي سلط سوط عذابه على السلطات الاستعمارية وهو إحياء لذكر أمة وشعب مستعبد آمن بالحرية وأدرك أنها ستكون مضرحة بالدماء والأرواح البريئة .

يعد ديوانه مرآة عاكسة لصور بطولية وتضحيات خيالية صنعها شعب عشق الحرية فعانق الشهادة وما قصائده إلا لوحة فنية رائعة استطاعت أن تصور ذلك باتقان

والديوان أثر نضالي وإرث أدبي وثقافي ، عرف النور في الحقبة الأخيرة بفضل جهود الباحث الجزائري الدكتور جمال قنان الذي أخرجه من العدم إلى الوجود بعد أن كان مجرد أشعار متفرقة في صحف جمعية العلماء المسلمين * أو لفائف الشاعر ومسوداته ، فقام بتبويبها وعنونة بعضها إن لم نقل أغلبها وقد وسمه بـ " ديوان الشهيد الربيع بوشامة " و طبع من طرف المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار (الجزائري ، الروبية) أما إصداره فهو عن منشورات المتحف الوطني للمجاهد سنة 1994 م (1)

استهل الدكتور جمال قنان عمله الأدبي بمقدمة مطولة أسهب فيها الحديث عن حياة الشاعر العلمية والنضالية مبرزاً المناخ الإصلاحي المشبع بالمبادئ الوطنية والقيم الإسلامية التي كانت تربة خصبة أينعت فيها ثمار الشاعر واتضحت أفكاره وتحددت وجهته كما وقف عند أهم المحطات والشخصيات التي أثرت في مسيرته وصقلت شخصيته وقد صدر الديوان بمختارات الشاعر التي كان قد انتقاها بنفسه احتراما لإرادته ثم استرسل جمال قنان في عرض القصائد مقسما إياها حسب أغراضها وموضوعاتها وتسلسلها الزمني (2)

يضم الديوان نحو مئة وثلاث قصائد ، بعضها قصائد وبعضها مقطوعات شعرية ، وقد قسمها جمال قنان حسب أغراضها إلى الموضوعات الآتية (3)

1- مختارات الشاعر (4- قصائد)

* أغلب شعره منشور في جريدة البصائر الثانية

(1) ينظر الربيع بوشامة ، الديوان ، ص(32-33-34)

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص(03 إلى 35)

(3) ينظر كتاب الأدباء الشهداء وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء ، ص111

- 1- مختارات الشاعر (4- قصائد)
- 2- الشعر الوطني القومي (20- قصيدة)
- 3- الإصلاح والتربية والتعليم (9- قصائد)
- 4- اعتراف وتقدير (7- قصائد)
- 5- من وحي العاطفة (8- قصائد)
- 6- الطبيعة بين الجمال والقسوة (قصيدتان)
- 7- معاناة ذاتية (11- قصيدة)
- 8- اجتماعيات (8- قصائد)
- 9- الأناشيد (9- أناشودات)
- 10- شعر الثورة (21 قصيدة)
- 11- متفرقات (10- قصائد)

الفصل الأول

البعد الوطني

1- مفهوم الوطن 1

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2- الوطن في الشعر العربي

3- تجليات الوطن في شعر الربيع بوشامة

توطئة

أ- التغني بجمال الطبيعة

ب- الإشادة بأبطال الثورة

ج- الإشادة بالمرأة الجزائرية

د- تمجيد الثورة

مفهوم الوطن :

أ - لغة :

الوطن في اللغة يقصد به مكان إقامة الإنسان ومقره ، ولد بها أم لم يولد ، وقد عبر عن الكلمة في الشعر العربي بألفاظ ومصطلحات متعددة تختلف دلالتها ، وأهم المصطلحات المتداولة منذ القدم ما يلي :

تعني كلمة الوطن أماكن السكن ويراد بها المنزل والدار والبيت كما تعني بقايا أماكن السكن كالأطلال والدمن والآثار والرسوم (1) وردد القدماء في أشعارهم كلمة الوطن بمختلف دلالتها وأكثرها من ذكرها *

وتطرقت المعاجم إلى شرح كلمة الوطن فهي في لسان العرب (2) وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها عليه فتحملت وذلت له ، فيقول كثير عزة :

فقلت لها : يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وفي معجم الرائد (3) عرف جبران مسعود كلمة الوطن كما يلي : وطن يطن ، وطن بالمكان أقام به

وطن توطينا : 1- نفسه على الأمر أوله : هياها لفعله ، خصه بها ، حملها عليه
2- اتخذها وطنا ومسكنا يقيم به

والوطن جمعه أوطان ويعني :

1- مكان إقامة الإنسان ومقره ، ولد فيه أو لم يولد

2- مرتبط البقر والغنم ونحوها الوطني المنسوب إلى الوطن الاقتصاد الوطني

(1) ينظر مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954 - 1962) دراسة موضوعا تبه فنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ابن عكنون الجزائر 1998 ، ص (215-216)

* يقول ابن الرومي : ولي وطن آليت ألا أبيعته ولا أرى غير له الدهر مالكا

وحبيب أوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالك

(2) لسان العرب ، المحيط للعلامة ابن منظور ، معجم لغوي علمي قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط (أعاد بناءه على العرف الأول من الكلم) دار لسان العرب ببيروت باب وطم ، وصف ، ص 949

(3) الرائد ، لجبران مسعود (رتبت مفرداتها وفقا لحروفها الأولى) دار للملايين بيروت لبنان ، ط4 ، يوليو 1981 باب وطم ، ص

ومهما اتسعت الدائرة حول تعريف كلمة الوطن فإن استعمالها يبقى أوسع وأشمل.

ب - اصطلاحاً :

تخفي كلمة الوطن وراء حروفها دلالات واسعة ومشاعر عميقة ، ما يمنح لأي كان أن يبحر في أغوارها ويستكنه خفاياها ، يدرك حقيقة الكلمة من تأصلت في ذهنه عقيدة راسخة بأن حب الوطن من الإيمان ، فجرى هذا الحب منه مجرى الدم من العروق لذلك فإن مفهوم الوطن رجراج يختلف باختلاف المذاهب الفكرية والمعتقدات الدينية ، فكل يعرفه حسب منبعه الثقافي واتجاهه السياسي ، ووفقاً لمبادئه ، ورغم ذلك يمكن القول أن كلمة الوطن تعني " المنزل الذي يحل به المرء وينزل فيه مع أهله وعشيرته ؛ لأن تجمع العرب قديماً في بقعة ما ، كان على أساس بشري قبلي لا جغرافي مكاني" (1) ومع مر الأيام تطورت كلمة الوطن وأصبحت تعني البقعة الجغرافية المعنية بحدودها وبشرها وتاريخها ، وقوانينها وذكريات (2)

ويكون أكثر شمولاً إذ قصدنا به الأمة الإسلامية... لأن العقيدة هي الرباط الوحيد الذي يعوض وحدة اللون، والدم والتضاريس (3)

ولعل هذا ما جعل عبد الحميد بن باديس يعطي للوطن أبعاداً إنسانية إسلامية في قوله " من نواميس الخلق حب الذات للمحافظة على البقاء ... فالإنسان من طفولته يحب بيته ، وأهل بيته ... وما البيت إلا الوطن الصغير فإذا ما تقدم شيئاً ما في سنه اتسع حبه ، وأخذت تتسع بذلك دائرة وطنه ... وإذا غذي بالعلم الصحيح شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية وكانت الأرض كلها وطناً له وهذا وطنه الأكبر" (4)

واعتقد أن الوطن هو ذلك الكيان المقدس الذي يلوح هيبه وجلالا ، أتمثله أماحنونا أرضعتنا شوقاً وحناناً و أهدتنا الحياة فوجدنا أنفاسنا بين أحضانها فترعرعنا تحت عينيها

ومن هنا كان الوطني هو الذي يحيا في سبيل وطنه وأمتة ويضحى بكل غال ونفيس

(1) عزيزة مريدن، القويمة والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، الدار القويمة، مصر 1966، ص 64

(2) ينظر وهيب طنوس ، الوطن في الشعر العربي ، منشورات ، جامعة حلب 1979- 1980 ، ص 265

(3) ينظر مصطفى الراجحي ، الإسلام نظام إنساني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1958 ، ص 63

(4) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين أملييلة ، الجزائر (2004-2005) ، ص 99 نقلاً عن خطب ومقالات جمعها محمد الطاهر فضلاء تحت عنوان قال الشيخ عبد الحميد بن باديس

من أجلهما وتلك هي قمة الوطنية إذ هي "حب الوطن والشعور بارتباط وطني نحوه"⁽¹⁾ وهي ما ينتج عن ذلك الحب اتجاه الوطن من نور في كيان الإنسان "حين يشعر بتعلق عاطفي ، وارتباط قلبي بالمحل الذي ولد ونشأ وترعرع فيه ، كما يشعر بتعلق باطني نحو أهل ذلك المحل ونحو جميع الذين عايشهم وعاشرهم وألفهم في صغره وصباه "⁽²⁾

أما مصطفى كامل مؤجج لهيب الروح الوطنية فيرى " أن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد والأساس المتين الذي تبنى عليه الدول القوية " ⁽³⁾

فالوطنية عنده رابط يجمع شمل أفراد المجتمع وعاطفة مشتركة بين أبنائه "وشعور ينمو في النفس ويزداد لهبه في القلوب كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه " ⁽⁴⁾

و حدد ابن باديس بعض مقومات الوطنية حين قال " الوطنية الإسلامية ... هذه هي وطنيتنا معشر المسلمين الجزائريين الأفارقة، ووطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته " ⁽⁵⁾

وبين محمد الطاهر فضلاء أن الوطنية " عاطفة غريزية تغذيها الفطرة وتجليها الحكمة ، وتشد أواصرها الخصائص الإنسانية " ⁽⁶⁾

والوطنية " في الجزائر كانت الصخرة الصماء التي تحطمت عليها عبر تاريخ الجزائر الطويل المعاصر منه والقديم، جميع الأطماع الاستعمارية وكل المؤامرات التي حيكت في السر والعلانية " ⁽⁷⁾ رغبة في ضرب وحدة الشعب الجزائري وتراجه ومهما حاولنا إيجاد مفهوم للوطن والوطنية يبقى الوطن أوسع من أن تحويه لفائف

(1) ساطع الحصري ، أبحاث مختارة في القومية العربية ، دار المعارف ، مصر 1964 ، ص 28

(2) ساطع الحصري ، آراء وأحاديث في الوطنية ، مطبعة الاتحاد ببيروت ، ط 1 ، (د ت) ، ص 07

(3) محمد قنانش ، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة (د ت) ، ص 13

(4) أديب نصوص، وطنيون وأوطان، دار العلم للملايين ببيروت، ط 1، ص 05

(5) محمد زغينة شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 100 ، نقلا عن محمد الطاهر فضلاء ، عبد الحميد بن باديس خطب ومقالات ، ص 173

(6) محمد الطاهر فضلاء، من جوامع الكلم لحكيم العلماء وعالم الحكماء ، عدد 87 ، يوليو 1985 م ، ص 397

(7) مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي ، ص (117-118)

الورق وأكبر من أن يخطه حبر قلم، لذلك تراني اعتبره كما قال الشاعر : (1)

عبثت فيه أكتف النواب	وطني هذا أراه جنة
خطط المجد بما في الحقب	وطن قد أحرزت أبنائه
خائضا في غمار الرهب	كيف لا أبذل نفسي دونه
عربي، عربي، عربي	ولساني وحسباني وأنا

.....
(1) محمد غازي التدميري ، التعبير الفني و خلاصة معبدة لقواعد الإملاء والكتابة ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط ١ ، 1990 ، ص (126-127)

2 - الوطن في الشعر العربي :

إن مصطلح الشعر الوطني حديث النشأة - رغم وجود بذوره في الشعر - فقد ولد في أحضان الحركات التحريرية لكونه " يدور حول قضايا الوطن ومشكلاته

السياسة والاجتماعية والذي يصور حب الإنسان لوطنه وأبناءه ، إنه تعبير عن مواقف وأراء قامت في ضمير أبناء الوطن فوعاها الشعراء ، وأدركوا أبعادها وتأثروا بها ، فغدت لديهم تجربة شعورية حادة ، فعبروا عنها تعبيراً صادقاً وأسبغوا عليها من عواطفهم ما جعلها قادرة على التأثير في نفوس مواطنيهم " (1) فهو " الشعر الذي يتفجر من الأعماق تعبيراً عن حب الوطن والذود عنه والدفاع لأجل حريته ويقاوم الطغاة والمحتلين فهو صورة لوجدان المواطنين وتعبير عن أمانيتهم وأحلامهم ، وتجسيدا لها " (2)

أسر الوطن بجماله و روعته وآيات سحره الشعراء، فهاموا بحبه وراحوا ينظمون القصائد لنقل أحاسيسهم من ضفاف القلوب إلى ضفاف الوطن العربي المترامية الأطراف، فكانت أشعارهم تنضح غيرة وحبا لهذا الوطن الحبيب، وتبرق روعة تعبيراً عن جمال الوطن وسحره.

فالشعر هو أكثر الفنون انفجاراً وتأثيراً بجرسه وعاطفته وحماسته وقدرته على التحريض والدفع والإثارة بطاقة مخزونة بقوة الشحنات الوجدانية العاصفة والأفكار المتفجرة المنطلقة ، وكل الفنون الأخرى لها دورها في أدب الثورة لكن الشعر يبقى هو الجسر السهل والقريب ، الخطير والفاعل في الوقت نفسه ، ويبقى الكهرباء ذات الشحنة المؤثرة في أعماق الإنسان والتي تجري في عروق الشعب كدم يغلي في بركان ثائر " (3) فعالج الشعر الوطني شؤون الأوطان ، وعبر عن آلام وآمال البلاد حيث أسهم الشعراء في البعث الوطني ، وفي الأحداث السياسية وفي الحملة على الاستعمار والتنديد بفظائعه، وتغنوا بالحرية والاستقلال ودعوا إلى الحكم الدستوري ، وحثوا أقوامهم على الجهاد والكفاح ، وأشادوا بالأبطال المجاهدين والشهداء وحثوا العرب على الوحدة

(1) أميل ناظيف ، أروع ما قيل في الوطنيات ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1992 ، ص 09 نقلا عن شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للدكتور محمد زغينة ، س (2004 - 2005) ، ص 101

(2) أحمد الطولى ، في الإصلاح والحنين إلى الأوطان ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس 1984 ، ص 88، 89 ، نقلا عن الكتاب السابق ، ص 101

(3) إبراهيم رمضان ، أوراق في النقد الأدبي ، دار الشهاب باتنة 1985 ، ص 32

والقصائد الوطنية هي مزيج من الشعر الوطني، والشعر السياسي ذي الطابع الإنساني ، تحسس كل عربي ليصون استقلال وطنه ويحافظ على حريته فهذه القصائد تحت على إشاعة العدل كما تدعو أبناء الوطن للعمل من أجل عيشة حرة كريمة، متمسكين بحقوقهم ومبادئهم .

غزر الشعر الوطني في عصرنا الحديث بسبب الوعي القومي والوطني ، فاشتهر شعراء كثيرون كمفدي زكريا وأبو القاسم الشابي ، وشوقي وحافظ والرصافي والعيسى ودرويش (1) ... وغيرهم .

ولتكن البداية من الجزائر فعلى لسان شاعر الثورة التحريرية سمعنا أروع ما كتب في الشعر الوطني حين قال: (2)

وَقَلَّ الْجَزَائِرُ وَاصْغِ إِنَّ ذَكَرَ اسْمَهَا	تجد الجبابرة ساجدين وركعا
إِنَّ الْجَزَائِرَ فِي الْوُجُودِ رِسَالَةٌ	الشعب حررها وربك وقعها
إِنَّ الْجَزَائِرَ قِطْعَةٌ قَدْسِيَّةٌ	في الكون لحنها الرصاص ووقعها
وقصيدة أزلية أبياتها	حمراء كان لها (نوفمبر) مطلقا

يهلل الشاعر مفدي زكريا للجزائر ويستجلي في ملامحها قطعة قدسية وقصيدة أزلية كان مطلعها الفاتح نوفمبر ، تنحني لاسمها الجبابر ساجدة راکعة ويزف خبر مولدها بالدماء والمدافع بشرى للعالم ، و يوزع الشاعر القداسة على مرا بعها الخالية ، ويرقى بحبها إلى درجة العبودية فيقول: (3)

أَرْضُ الْجَزَائِرِ فِي إفْرِيقِيَا قَدَسٌ	رحابها من رحاب القدس إن صدقوا
أحبها مثل حب الله ، أعبدها	أمنت بالله ، لا كفر ، ولا نزق

ونعرج على تونس فيطل الشابي من قبة أغانيه ، أ فناه حب الوطن فلا بأس إن أريقتم دماءه لتروي عطش ترابه ، فهو عاشق ودماء العشاق مستباحة ، يدرك أن صبح تونس آت لا محال وهذا ما يؤكد " الناحية الوطنية و الإحساس الفياض عن آمال بلاده و آلامها إ ذ كان محبا لبلاده صادق الوطنية يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة

(1) ينظر صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص 254

(2) ينظر مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، المكتب التجاري ببيروت ، 1961 ، ص 58

(3) المصدر نفسه ، ص 26

إنسانية سامية حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولاً و عملاً " (1)

ومن بلاد الرافدين ، من زرقة دجلة و الفرات يقف الشاعر معروف الرصافي متخذاً من حبه للعراق منبراً للوطنية داعياً للوحدة و إزالة الفوارق الطبقية قائلاً في قصيدته " في سبيل الوطن " : (2)

إذا جمعتنا وحدة وطنية
فماذا علينا إن تعددت أديان
إن القوم منهم أمور ثلاثة
لسان وأوطان و بالله إيمان
وأي اعتقاد ومانع من أخوة
بها قال إنجيل كما قال فرقان

و حين استقر بنا المقام في بلاد الشام دخل علينا شاعر الحب والمرأة نزار قباني من بوابة دمشق الأصيلة ، ليتحننا بدمشقيته الرائعة قائلاً : (3)

هذه دمشق

وهذه الكأس والراح

أنا الدمشقي لو شرحتم جسدي

لسال منه عناقيد و تفاح

ولوا فتحتم شرابي بدميتكم

سمعتم فيها أصداً من راحوا

هنا جذوري هنا قلبي هنا لغتي

فكيف أوضح فهل في العشق إيضاحي

أودع الشاعر قلبه حب دمشق لأنها الأم الرؤوم التي احتضنت جذوره العربية الأصيلة ، رغم قلة قصائده الوطنية إذا قيس بعدد الأشعار التي كتبها في الحب والمرأة إلا أن أهمية هذه النسبة الضئيلة كان لها الفعل القومي ، والتأثير البالغ لجرأة الشاعر – من ناحية – على تناول قضايا حساسة لم يكن من السهل التحدث

.....

(1) أبو القاسم الشابي ، ديوان أغاني الحياة ، ص 14

(2) ينظر عبد اللطيف شرارة ، شعراؤنا دراسة تحليلية ، معروف الرصافي ، دار بيروت للباعة والنشر 1982 ، ص 168

(3) ينظر إبراهيم رمضان ، أوراق في النقد العربي ، ص 225

فيها وخاصة في ظروف سياسية واجتماعية صعبة ، ومن ناحية أخرى لجودة التكتيك الشعري الذي استطاع بواسطته أن ينقل تجاربه في أبسط صياغة فنية (1)

أما في لبنان نجد خليل مطران يهتز طرباً لمسقط رأسه ومهوى شوقه لبنان موطن الأرز ومربض كل ليث أصيد على حد قوله في قصيدته "تشوق إلى لبنان": (2)

لبنان مازالت دمائك مطلعاً

للفرقد اللماح بعد الفرقد *

يا منبت الأرز القديم و مربضا

يوم الحفاظ لكل ليث أصيد**

هذي إليك تحية من شيق

قد باد طوعاً محناً وهو كمعبد

يا مسقطاً للرأس في جنباته

من حر شوقي حيرة لم تخمد

ومن فلسطين الجريحة يستوقفنا أنين محمود درويش في أغنية حب على

الصليب فيقول : (3)

مدينة كل الجروح الصغيرة

أحبك كوني صليبي

و كوني كما شئت برج حمام

إذا ذوبتني يدك

.....
(1) ينظر المرجع السابق ، ص 225

(2) ينظر عبد اللطيف شرارة ، شعراؤنا دراسة تحليلية ، خليل مطران ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت 1982 ص 127 - 128

*النجم

** المائل رأسه كبرا

(3) محمود درويش ، الديوان ، دار العروبة ، ط (1) ، 1987 ، ص 277 - 279

ملأت الصحارى غمام
يحبك يا كل حبي مذاق الزبيب
وكالشمس ذوبي
بقلبي ولا ترحميني

همس محمود درويش في أذن فلسطين ، أحبك فكوني كما شئت كطعم الزبيب
أو كطعم الدم، ليجمع بذلك بين المتناقضات في صورة جميلة
وفي بلد الفراعنة وموطن الأهرامات تبرز وطنية أحمد شوقي حين يقول: (1)
وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه بالخلد نفسي

هذا هو الشعور الوطني "الذي لا بد أن تظهر ثمراته في الأعمال حتى تبلغ الأمم
غاية الكمال ، فهو كالماء تحت الجبال لا بد أن ينبعث فتتشق له الحجارة وتتفجر
منه الأنهار" (2)

هكذا كانت الوطنية واجبا مقدسا يسعى إليه كل شاعر عربي حر، وحلما كبيرا بين
جوانح كل شهم أبي وظل حب الوطن الحقيقة الأكيدة ، الحقيقة الكامنة في نفوس
هؤلاء الشعراء، فظل الوطن العربي دائم القوة و الشباب ، دائب الحركة و النمو
و التطور.

(1) أحمد شوقي ، الديوان ، ص

(2) حواس بري ، مفدي زكرياء ، دراسة وتقويم ، ص30

3- تجليات الوطن في شعر الربيع بوشامة:

توطئة:

كرس الشاعر الجزائري روحه لنصرة وطنه الذي يئن تحت الحصار المفروض عليه من طرف المحتل الغاشم ، وسعى إلى تخليصه من قيود الاستعمار وهيمنته وهكذا كان الشاعر الجزائري " مخلصا للقضية الوطنية على طول الفترة ولم يتعثرا يوما أو يتخلى ، بل ظلت الهدف المنشود والحلم المرتسم في نفوس الشعراء والأدباء الذين جردوا أqlامهم للوطن والشعب ، ومطامحه التي لا تعرف لغير الاستقلال والتحرر المطلق هدفا " (1)

فإذا وقع في سمع الشاعر نداء الوطن ، استرخس في سبيله كل غال وثمان واستعذب الموت ، فلا ضير إن عاش الشقاء لتسعد الجزائر ، فما حبه إلا لها ، وتلك هي قمة الوطنية

المتفحص لديوان الربيع بوشامة يجد الجزائر المتعبة قد تنسمت نسمات منعشة تعبق منها رائحة الوطنية إذ اتخذ من قلمه مترجما و منفسا لكربه وهمومه ، معبرا عن سخطه وغضبه لما اقترفه الاستعمار من نهب وتخريب لوجود الأمة الجزائرية وشاعرنا له " وقفات تشد الانتباه وتهز الوجدان، وتحرك النفوس في المجال السياسي والوطني ، فكان شامخا أمام أعداءه وأعداء وطنه " (2)

وأبعاد الشعر الوطني في ديوان الربيع بوشامة نتلمسها في المحاور الآتية :

أ- التغني بجمال الوطن

ب- الإشادة بالأبطال

ج- تمجيد الثورة

د- الإشادة بالمرأة الجزائرية

وهذا ما يؤكد أن الشاعر أحب الجزائر فعشق لأجلها الجمال ، وتمثلها عظيمة في ثورتها على الظلم وسحق قلاع الطغاة .

(1) كمال عجالى ، ديوان أبي بكر بن رحمون ، المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1991 ، ص 121

(2) محمد زغبنة ، أبو اليقظان ، رسالة الدكتوراه ، ص 14

1- التغني بجمال الطبيعة

الجزائر وطن الطبيعة الساحرة ، بسهولة الخضراء وجبالها الشاهقة ، بمنايعها المتفجرة وسيولها المتدفقة ، جعلت الجزائري شديد التعلق بها يشده دائما الحنين إلى تربتها ، تبعث فيه أرضها الخصبة الاعتزاز بالوطن والتمسك به ، وحين امتزجت هذه الطبيعة بحب الوطن كانت قصائد الربيع بوشامة الذي تغنى فيها بحسن وطنه بما فيه من غابات ملتفة ونجوم ساطعة ومياه وبحار وتلوج يقول: (1)

حبذ الحسن مكرم الطهر غضا	يزدهي النفس في جميع المجالي
في مياه الغدران والبحر أو في	طبقات الثلوج فوق الجبال
في نجوم الخضراء تشرق دأبا	من أعالي الفضاء على الأجيال
أو بغاب ملتفة الأيك تؤوى	فرق الوحش والقطا والضلال

أسفرت الجزائر عن وجه فاتن الروعة، فالشاعر بنظرته الحاملة يعتز بالأرض المشرقة ، ويتملى ملامحها الباسمة ، وطبيعتها المفترية وخيراتها المتدفقة فيقول: (2)

في سهول أجريت أنهارها	ورياض حاليات بالخضب
وجبال بازخات كللت	رأسها الغاب وتيجان السحب
وتلوج يندف الجو بها	وتجلى في الأعالي كالنصب
ورمال نثرت ذراتها	تتراى مثل در أو ذهب
كم رياض وسهول خصبة	ونعيم بين أيدينا غصب

هي متعة الروح ونعيم مقدس ، إنها الحسن الذي يبحث عنه الشاعر في الروض والحقل ومياه الغدران في الثلج في الغاب والرمال والسهول، وما زاد وطنه وقارا الساحل الجزائري الذي يعانق الوطن فيبدو آية من آيات الجمال ، وفي التاريخ صفحة من صفحات المجد والبطولة ألم يحضن ابن تومرت وابن حماد ؟ ألم تقم على أرضه صرح الدولة الحمادية * المجيدة فالربيع بوشامة وقف على الساحل

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص124

(2) المصدر نفسه ، ص 56

* دولة بن حماد أسسها أحمد الصنهاجي سنة 387 هجري ، ودامت 27 عاما تقريبا وتعتبر من أزهى العصور التي مرت على الجزائر في عهد الفتح العربي

الجزائري فلم يراه إلا ساحل مجد وبطولات على مر التاريخ، يتلمسها في شخصيات لامعة كا (ابن تومرت)* وفي دولة مجيدة كدولة بني حماد (1)

يشيد الشاعر بجمال الساحل الجزائري ليذكي من خلاله روح الوطنية في نفوس الجزائريين، فيذكرهم بحقيقة ساطعة هي عزة الوطن وعراقة التاريخ وعظمة الجزائر فيسرح في طبيعة وطنه ليستنطقها قائلًا : (2)

إيه ربيب العلا أذكيت عاطفتي وهجت بي طربا من سحرك البادي
جمعت كل بديع مبهج خصب من الطبيعة في سهل و أطواد
دنيا من الحسن مدت في روائعها يد "العناية" فازدانت لـرواد

يهيم الشاعر بجمال طبيعة وطنه، فيتلمس فيها جمال صنع الخالق الذي لم تدنسه يد الطغيان، فصورها جنة من جنان الخلد أو روضة من رياض الجنة، هي أرض العطاء والخيرات، امتزج الشاعر بها فباح لها بهومومه وأشجانه فتحوّلت " الطبيعة من كيانها المادي المباشر إلى حياة نابضة يمتزج الشاعر بها ويبوح لها بكل خواطره ومكونات نفسه " (3)

وأمام جمال الجزائر وفتنة مناظرها أبى الربيع بوشامة إلا أن يكون رومانسيا حالما فيمتزج بالطبيعة وتمتزج به

انجرف شاعرنا مع مشاعره التي يكنها لهذا الوطن الذي عشقه صبيا ويافعا واستشهد يحلم بحريته واستقلاله، فوجد في طبيعة وطنه ما تصبوا إليه نفسه من حرية، لذلك سربل أشعاره بأنات الطبيعة الخلابة التي تموت قهرا على يد الاستعمار البغيض، فبلغ عدد الأبيات التي تغنى فيها بجمال الطبيعة الجزائرية

ما يربو عن 308 بيتا تغنى فيها بالقمر والبدر بالبساتين والأشجار والورود والبحار والنور والظلام .

* المهدي محمد تومرت مؤسس الدولة الموحدية في السوس بالمغرب الأقصى سنة 524 هـ

(1) ينظر صالح خرفي، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص125

(2) الربيع بوشامة، الديوان، ص62

(3) عمر الدقاق، ملامح الشعر المهجري، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، كلية الآداب 1973، ص 276

رسم لوحة فنية من حياة راع مغمور ، وصف فيها الجزائر الحلم والغد ، والأمن والهدوء والسكينة ، ففي جمالها يتدبر العابد المتفكر ، ويهيم كل محب لوطنه ويولع بأحانها وتوقعها كل سمع مرهف، فمن زاوية من جبال الأطلس اليافعة يردد الشاعر : (1)

وراع ندى الصوت مرفوع منير	على صخرة ملساء تحت الصنوبر
يعيش وحيدا بين أحضان غابة	معيشة رهبان وأهل التفكير
بواد عليل الروح أطيب مبهج	حوى خير أمراع وأجمل منظر
مسلسلة تزجي بهمس خريرها	لحونا عذابا دونها نفت مزهر
محاسن كون بثها الله رحمة	وآيات هدى للغبي و المفكر
وأسمى فنون لم تطقها يدا الوري	وأحكم فيها الصنع خلق "المصور"

فتنة الطبيعة الجزائرية وروعة جمالها ألهمتا الشاعر ألا يرى في الجزائر إلا الحسن كما يظهر في قصيدته " أرني حسنا " (2) التي امتزج فيها مع طبيعة وطنه امتزاجا عميقا ، جاعلا من ربوعها الأخاذة مسرحا لأحاسيسه وأفكاره ، وشخص مظاهرها على نحو إنساني يزخر بالحركة وينبض بالحياة .

ولأنه قضى معظم حياته في المدينة خاصة الجزائر العاصمة، كان متشوقا على الدوام إلى الريف وجماله، وهذا الجمال جعله يصف الطبيعة ويهرب إليها مرارا لما تنبض به من حياة، وما ينبعث منها من نسيم ينعش الشاعر، ويسكن روعه فاتخذ من " الموضوع مطية ليعبر عن إحساسه اتجاه الطبيعة وفي مقدمة تلك المشاعر الانتعاش بالجمال ونسيان الهموم، وهذا ما يفسر تمنى الشاعر العودة إلى أحضانها والتنعيم بأوقات يقضيها في كنفها " (3)

وجد الشاعر في طبيعة وطنه راحته النفسية وارتياحه الروحي ، فخرج على غابات بلاده ، وتلذذ بقطف ثمار أشجارها فكانت هذه الوقفة الوصفية حين أنشد : (4)

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص42

(2) المصدر نفسه ، ص56

(3) الشريف مربي ، عبد الكريم العقون شاعرا ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر 1997 ، ص136

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص63

فصور الشاعر ربيع بلاده الحلو وهو يعود إلى الكون بعد غياب ، فاستقبله
"بسبحات قدسية مجنحة " (1) ليبوح له بأسرار نفسه ، ومخاوفها من لفح هذا الهجير
الإنساني

رسم الشاعر صورة شعبه على أديم النص ، متخذا من الطبيعة أنيسا يحاوره ويبوح
إليه بمكنونات نفسه(2) ، بحث عن اليقين والجمال في وطنه فتفجر شوقه وحنينه أنغاما
شجية منهجرة ، إنها أشواق روحية عبقة بسرحات خيالية جعلته يفيض قولاً: (3)

إيه يا ربيع حديث النور والزهر	ر والهواء المدفون
أنت لي في الزمان خير عتيـد	نتنأجى بالروح أو بالجفون
أنت للكون روح أنس وحب	منك دنيا الصفا وأحلى معين
روضة الروح في أحب المجالي	قرة العين سلوة المشحون
حبذا عشية الصبا والربيع النضر	في السهل فالربى والحزون

الطبيعة التي كان الشاعر في وقفاته الوصفية معها راهبا متعبدا أبت " بأن لاتكتفي
بأن تكون مادة لشعره " (4) و شاركته في مقاومته ، وأمنت بعدالة القضية ، فأعلنت
ثورتها لتعانق الثورة التحريرية، فكان للطبيعة دورها في الفداء والتضحية من أجل
أرض طيبة قال عنها : (5)

هذه أرض الموت والدم والدمع	لمن رامها بالاستعباد
سوف تبقى دار العذاب على	كل دخيل مستعمر كباد

وتساوت عند الشاعر الأمور ، فاستوى الليل بالنهار في الطبيعة فكانت قمة الثورة
فيها وقمة الحزن: (6)

(1) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص25

(2) المرجع نفسه ، ص 23

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 131 - 132

(4) ينظر صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص267

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص221

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص228

زر حمى الأطلس أودع يا ربيع	إننا عنك لفي شغل مريع
----------------------------	-----------------------

واغتدت أرض الحمى مقبرة لبنى الإسلام والضاد الفجيع

واكتسى الكون حدادا مفزعا وانطوى الجو على حزن وجيع

وتعالت فيه أنات الصدى ونواح اليوم والنعي البشيع

حزنت الطبيعة لعمق المأساة فكان الربيع الحزين الذي أبى إلا أن يبايع مطلب الشعب لذلك عزف عن كل جمال فقال الربيع بوشامة: (1)

وانزوى كل جمال وهوى عن وجود الذل والظلم الشنيع

انظر الأرضين والسبع العلي هل ترى فيها سوى سخط ذريع

واستياء بالغ مستمطر لعنة الله على العسف الرقيع

استبد الاستعمار بالشعب وحول حياته إلى جحيم، فأبناء هذه الأرض من شقاء إلى شقاء ومن جفاف إلى جفاف، فكانت هذه الأرض شبحا يبتلع كل غاصب مستبد لذلك يقول: (2)

كل شبر مأوى لهول كمين فيه جيش التحرير بالمرصاد

ثارت الطبيعة ثورة الإنسان الجزائري ، وكأنها لم تخلق إلا لتقوم بوظيفتها في المقاومة والكفاح (3) فليس غريبا أن يقول الشاعر: (4)

وملأنا الجو رعدا قاصفا موقظا روح العلا والكبرياء

وقال: (5)

ذاك صوت الحق يدعو في السماء يا شباب الحرب هيا للعلاء

ولأن الروح الاستشهادية مطلبا بطوليا متفائلا ساد بين أبناء الشعب ، اهتزت

(1) المصدر السابق ، ص 228

(2) المصدر نفسه ، ص 222

(3) ينظر حواس بري ، شعر مفدي ، ص 150

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 75

(5) المصدر نفسه ، ص 75

الطبيعة إجلالا ؛ لأنه ليس هناك أعظم من التضحية بالروح فردد: (1)

يا شهيدا في زهرة العمر قضى	ظامنا للعلياء وللتحريـر
حسبك الله ، قد آذيت قلوبا	عند مهواك وانطفأ كل نور
وبكتك الغابات والطير أسرابا	ووحش الفلا وصم الصخور
سوف ينمو على دمائك غرس	يثمر العز والعلا في الدهور

احتضنت الطبيعة الجزائرية النائرة المناضل والمجاهد ابن الوطن ، ليحرر البلاد
فقد كان يسير بين الجبال أو في التلال يستظل بالشجر و يهتدي بضوء القمر كما
أوضح الشاعر ذلك: (2)

سر للنضال	في كل حال
طول الليال	حلف القتال
بين الجبال	أو في التلال
تحت القمر	أو في الظلام
وسط الشجر	أو في الخيام

سر ولا تخف فحيثما سرت وجدت أرض الجزائر تحتضنك.

ونتيجة لما شهدت مدينة خراطة من أحداث دموية بعد مأساة ماي 1945 م (3)
وما تبع ذلك من ظلم وفساد، أعلنت الطبيعة غضبها فكان الزلزال الذي كتب فيه
الشاعر قصيدة خراطة (4) .

نلمس في الإنتاج المبكر للشاعر " حبا للجزائر جارفا وحنينا إلى وجهها الذي مازج
دمه ودخل شغاف قلبه في هذه العاطفة الجياشة المتدفقة من كل قصائده ، فهي
تصور لنا حب شاعر حساس يعشق مواطن الجمال في وطنه فيتغنى به جزء جزء

(1) المصدر السابق ، ص 206

(2) المصدر نفسه ، ص 207

(3) ينظر محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص 372

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 135

وموطننا موطننا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب" (1)

تلك هي حكاية الهوى التي جمعت الشاعر بطبيعة بلاده، أين كان مرتع صباه وشبابه ، فامتزجت طبيعة وطنه بالمواقف البطولية والتضحيات الجسام ، فاستحقت أن يتغنى بها شاعر في وطنية الربيع بوشامة .

ب - الإشادة بالأبطال

يعد الشعر " أحق فنون التعبير بتمجيد البطولة وتخليد الأبطال ؛لأنه يجمع إلى الأداء المجرد جموح الخيال وعمقه وقوة العاطفة وحرارتها وشمول النظرة ونفاذها " (2)

فسجل الشعر البطولات وخلد الأبطال الذين لا يحملون علامات من الشخصية البطولية تاجاً أو صولجاناً ، لكنهم يحملون خنجرًا وبندقية إيماناً راسخاً بالنصر والحرية ، فرفرفت الأسماء التي صنعت مجد البطولة على أرض الجزائر بطولة لونها الدم وحققها الصبر فقال عنها الربيع بوشامة : (3)

حي البطولة في حزن الدم القاني و أبك الدموع... ذوب وجدان

هذا ابنك الحر في ساح الجهاد قضى هذا على الحمى ممدود جثمان

وعن أبطال الثورة فتية المجد الذين صنعوا المكرمات كبارا وصغارا يقول

الشاعر (4):

فتية المجد والهزاهز من كل
أبي وافي الدهاء منجــــــــــــــــــــاد

كلما جد الجد زادوا ثباتا وقضوا - في العلياء - حق الصعاد

وتباروا في المكرمات كبارا وصغارا حتى الذي في المهـاد

كلهم ثائر مضح غيـور كلهم أمة من الأسـاد

تولى ظهور " بطولات جديدة ممثلة في جميلة وابن صادق وزهانه ، وآلاف

(1) حواس بري ، مفدي زكرياء ، ص 59

(2) أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص70

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 64

(4) المصدر نفسه ، ص 220-221

المجاهدين والفدائيين والمجاهدات والفدائيات في قمم الأوراس وغابات جرجرة وسهول وهران وربوع الصحراء" ⁽¹⁾

وقف الشاعر أمام هؤلاء الأبطال وقفة اعتراف وتقدير إكبارا وإجلالا لما قاموا به من أعمال جليلة في خدمة الوطن ، فأرض الجزائر كانت مهينة لبروز " عدد من الأبطال الشعبيين الذين لم يكن لهم اسما يذكر ، ولكنها الشدائد منبت الرجال ومصنع الأبطال ، فقد تكشف الجماهير عن أبطال حقيقين أظهروا من الحنكة في القيادة والإستبسال في الحرب ، ما ألحقهم بأبطال الأساطير شهرة " (2) ، فأثنى الشاعر الربيع بوشامة على رفيقه في الكفاح البطل عميروش ومن خلاله مجد أبطال وأبناء الجزائر ، وتغنى ببطولات شعبه وسجل انتصاراته التي حققها على الأعداء فقال: (3)

حي في الأبطال فتیان الفداء	وأخصص "اعميروش" منهم بالثناء
بطل الثورة يبلي أبدا	في جهاد المعتدي خير البلاء
ويرد الصاع صاعين له	بقتال مستميت ودهاء
ويساقيه بأيدي حرة	كل جام مترع فيه الفناء

حينما اجتمع الذكاء مع القوة بالدهاء مع الشجاعة ظهرت خصال البطل عميروش في ساحات الوغى ، يعكر بها صفو المستعمر الغاصب ، وحين يجتمع الحب مع الصلابة بالطيبة مع الإقدام تشع صورة القائد البطل مع أبناء شعبه بياضا ناصعا فيقول: (4)

قائد شهم همام وأخ	طيب الأخلاق ميمون الإخاء
وعصامي بنى أمجاده	بيديه اليوم في أقسى الجواء
يجمع الطيبة و الحب إلى	همة الأبطال بنائي العلاء

(1) أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص85

(2) امجد الطرابلسي ، محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة ، مطبعة نهضة مصر بالفحالة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ت ، ص 108

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص187

(4) المصدر نفسه ، ص187

دموع الثكالى لن تجف ، إلا بتقدم فتیان الفداء وبواصل الوطن ، فكانت دعوات الشاعر لهم متواصلة ، فهم الأبطال الأوفياء الذين سيتحقق النصر على أيديهم فيقول: (1)

تقدم للفـــــــــــــــــداء	باسلا راسي القــــــــــــــــدم
والق أبطال العــــــــــــــــدا	ضاحكا عالي الشمــــــــــــــــم
وأسقهم كأس الــــــــــــــــردى	من يد تزجى العــــــــــــــــدم
وارتشف من مثلهاــــــــــــــــا	لا تهب وقع الألــــــــــــــــم
حقنا حق الســــــــــــــــما	نسجــــــــــــــــه روح ودم
ودموع للتكاــــــــــــــــلى	وآلام وهــــــــــــــــم

ورغم أن حياة الأبطال معبأة بالمخاطر ومضرجة بالأهوال ، إلا أنهم لا يبالون
اقتناعا منهم بجدوى النضال ، يقول الشاعر: (2)

كل دنياه ثورة وقتــــــــــــــــال	مستحر ومرتمي أكبــــــــــــــــاد
ودماء فواحة ومنايــــــــــــــــا	تترأى في يقظة ورقــــــــــــــــاد

ولأن البطولة لم تكن حكرا على أحد، خاطب الشاعر جميع الشعب وحثه على
المضي قدما قائلا: (3)

واصل السعي أيها الشعب واصبر	إن صبح الآمال في إقبال
سوف تجني أشهى الثمار بيميناك	وتحيا في جنة وظلال

والثورة ما هي إلا " رعد قاصف في جو غمه الصحو (4) " أو قدها أبناء الجزائر
لهبا عارما يحرق كل مارد دخيل فقال الربيع بوشامة: (5)

(1) المصدر السابق ، ص 183 – 185

(2) المصدر نفسه ، ص 220

(3) المصدر نفسه ، ص 186

(4) حواس بري ، شعر مفدي زكريا ، ص 74

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 221- 222

ضقت بالظلم والهوان	فأوقدت لظى الحرب أيما ايقاد
وابتعثت النيران في الشرق والغرب	جحيما على الدخيل العادي
أنت منهم اليوم يومك فاطــــــــــــــــاب	غاية النصر في جحيم العوادي

وجد الشاعر أن " البطولة الحقّة ممثلة في الثورة نفسها بما فيها من إيمان وحماس ومجد ، إن الثورة قد ألهمت الشعر كثيرا من الموضوعات التي لم يكن يخوض فيها من قبل ، فقد حررته الثورة من قيود الزمن والإشارة والمهادنة والخوف " (1) وفي هذا الصدد يقول الشاعر: (2)

كل ما في أرضنا	حرب رق ونهـم
ودفاع دائـم	بين أطماع النسـم
جندت فيها قـوى	من سلاح وقـلـم
وانتزع من كفهـ	حقك الشرعي الأشـم
واردد الأحجار مـن	حيث جاءت لا تتـم

أهابت الثورة بالأبطال إلى عالم جديد فأحاطتهم بهالة من الأسرار ، فكتب الربيع بوشامة الثورة الجزائرية ببطولات الملايين من أبناء الشعب الجزائري صفحات مشرقة يندر مثيلها حين قال : (3)

وأشاعت روحا عجيب المآتي	هو سر الأسرار في الأبطال
من معانيه أبدع الله قدما	همة المجد في النساء والرجال
كم جريح أحيت دماه شعوبا	مثلما قوضت صروح الضلال
لم تسل قطرة من الدم إلا	انتجت للظلام شر وبـال
وبنت للموتور أوكار عز	ثابت الأصل ماله من زوال

جعل الشاعر من الثورة ملاذا له فاتخذها نورا فاصلا بين العبودية والحرية

(1) ابو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 75- 76

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 184- 185

(3) المصدر نفسه ، ص 186

وبصيص أمل يلوح في حياته المتخنة بالجراح .

وفي سبيل الاستقلال لحق الشعب العذاب الأكبر ، ومع ذلك لم يزد إلا بسالة ، وكان كلما ضاعفت فرنسا من عذابها زاد هو الآخر من تحديه لها ، بتقديم الضحايا باعتبارهم وقود نار الحرب وذلك ما يظهر في قول الشاعر: (1)

إن قتلتم قبل إتمام الفـدا
فواراكم جيش أبطال مسك
يطلبون الثأر حتى في السما
ويبيدون العدو المنتـهك
وينالون الأماني في الخالدات
والاستقلال بالعزم الأشك

لقد " عانق الشعر الثورة المعانقة الهادئة المتوقعة " (2)، فكانت بما فيها من بطولات ومآسي تسقى شجرة الحرية ؛ لأنها نهاية حتمية لتجربة تاريخية خاض غمارها الشعب بأكمله ، فلم يعرف الوهن لنفس الشعب البطل سبيلا ولا الإرهاق والتراجع طريقا ، مالم يتحقق الهدف المنشود والغاية المرجوة ، وإن أحرقت فرنسا بنيرانها أو شنفته بحبالها فردد : (3)

إن هذا الشعب الكريـم
مستमित في أمره المنصور
سوف لا ينثني من السعي حتى
يقضي الله بيننا في المصير
ويقول أيضا: (4)

وبطولات الخالدين التي قد
تصنع المعجزات يوم التنادي
هكذا أصبحت الموت والحياة عند الإنسان الجزائري سواء وذلك لما سلبت كرامته واعتدي عليه في عقر داره

يستنهض الشاعر الهمم من حين إلى آخر ويدفع العزائم ويحث على التقدم ، مسلطا الضوء على أيام الأجداد وعهودهم الزاخرة ، لقد سادوا شرقا وغربا وأفادوا الإنسانية

(1) المصدر السابق ، ص 218

(2) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 271

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 49

(4) المصدر نفسه ، ص 222

ماديا وأدبيا فقال: (1)

واهزج معي بأغاني الخلد مذكرا
أومن عهود" ابن تومرت "وفتيته
أيامك العز في دنيا" ابن حماد"
بناة عز بدين جامع هاد
ألا إدأبو لتعيدو للحمى سيرا
كريمة حاطها تاريخ أجدادي

يهتز الشاعر طربا لما حققه الأجداد من انتصارات، ولما توصلوا اليه من انجازات
في عالم الحضارة ، ومن هذا المنطلق يرفض الحياة في ظل العبودية ويحفز قومه
بإثارة النخوة العربية ليمضوا نحو العلا والسؤدد فيردد : (2)

من جدود مكارم وشيوخ قادة أهل فضل وهمة وحمة
قادة الدين والمعارف حينا ومنار الإرشاد في الحالكات
وانشروا من تاريخكم عهد مجد ظل تاج الفخار جم العضات
شاد فيه الآباء كل جميل للهدى والعرفان والمكرمات
ربط الربيع بوشامة الفرع بالأصل وذكره بمقوماته التي إن استند إليها حقق غاية
الأمل فأنشد : (3)

ولديك الأخلاق والسند الأقوى من الدين واللغى والعاد
و تراث المجد الأشم وكل المعنويات من أغر التلاد
وبالإسلام يعتز الجزائري ، ويسقي أمانيه بنور الإيمان لقول الشاعر: (4)
لقد رفع الإسلام أقدارنا سوى وكان لمن دانوا به الأب والأما
ومن أجل الإسلام ولغة الضاد وتاريخ الأجداد ، وفي السبيل الوطن المسلوب
والعقيدة المحاربة ، سبح الشعب الجزائري على دمه يريد الوصول إلى حيث
تعسكر وتشرق شمس الحرية والسيادة الوطنية، وإذا اعتاد الناس أن يتبرعوا

(1) المصدر السبق ، ص 62- 63

(2) المصدر نفسه ، ص 145

(3) المصدر نفسه ، ص 221

(4) المصدر نفسه ، ص 76

بأموالهم فإن الشعب الجزائري ، كان يتسابق إلى التبرع بالأرواح فيقول في هذا الصدد :⁽¹⁾

وارفعوها فوق هام الشهداء
واخذوا الحرية الحمراء لها
ولا تهابوا الموت في سبيل العلا
إنما الموت حياة العظماء

ولأن الشهادة مبدأ سام باركها الشاعر معتبرا إياها " الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة وهي تتعرض للامتحان ، وتتعرض للابتلاء ، وتنكشف فيها خفايا النفوس " ⁽²⁾ ولعل هذا ما جعل الشاعر يقف وقفات إيمانية وطنية أمام جثث الشهداء مترجما ناثرا آيات الجهاد ، داعيا إلى الإقتداء بهم ، معاها إياهم على المضي في نهج التحرر من الاستعباد ، وهذا ما يظهر في رثائه لأحد الشهداء: ⁽³⁾

يا شهيدا في زهرة العمر قضى
ظامنا للعليا وللتحرير
يا شهيد الأوطان حسبك مجدا
أن تكون القربان للتحرير
وتسن الفدا لكل همام
عبقري الأعمال حر الضمير

هذه الوقفات للشاعر نجدها في معظم القصائد التي قبلت قبل الثورة سواء في حوادث الثامن ماي 1945م أو أثناء الثورة ، فتميزت قصائده بالحماسة والإثارة لما تحمل من قيم إنسانية ، ومبادئ إسلامية عليا ، شعر الفداء والتضحية ، حيث الجلال والنور ولذا يخاطب شهداء الثامن ماي رامزا إلى أحدهم: ⁽⁴⁾

سر على الدمع والدماء الغوالي
يا شهيدا في ذمة المتعالي
وامتط النور للسماوات تحذو
ك أغاني الرضى وروح الجلال
وأترك الجسم للحديد والنيران
نهبا مبعثر الأوصال
واستهانوا بقلبك الغض جهلا
فأراقوا دمانه كالغوالي
إن تعاجل في زهرة العمر بالقتل
فقد مت موة الأبطال

(1) المصدر السابق ، ص 75

(2) السيد قطب ، هذا الدين ، دار الشروق ، 1978 ، ص 11

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 206

(4) المصدر نفسه ، ص 50- 51

وحضي عبد المالك بالشهادة كأقصى أمنية وأشرف رجاء فقال عنه : (1)

إنها أعظم نعمي نلتها في سبيل الله يا عبد الملك

كل حر يتمنى مثلها طيب النفس بصبر وضحك

آه ما أحلى الشهادات لدى مؤمن بالله ميمون الحرك

وتسرعني إلى الرجعى ولم تملك النصر وتقطف ثمرك

وهناك تحت الثرى الكريم ، ينام الشهيد في جنة الخلد محاطا بالفيض الإلهي والنور

والرضوان ، فكتب مبعث النور خلود الشهيد : (2)

هنيئاً لهؤلاء الشهداء اللذة والمتعة، فالشهيد في " عالم مليء بالأفراح مفعم بالمسرات أسلم الجسد للجلاد يلهيه به ليسترق الخطأ إلى عزلة سموية قدسية ويرفرق عليه بروح هازئة ساحرة ، تنزلق دونها يد المتطاول وتنساب في ملكوت الله ، يلفها الليل بجناحه ، وتعجز عن إفشاء سرها إشراقة الغسق والفجر " (3)

وكما ان للجزائر أبطال الحديد والنار ، لها أبطال القلم والكلمة فالبطولة أيضا "ممثلة في أولئك المصلحين الصامتين العاملين لخير الشعب والوطن دون أضواء أو إعلانات ، أو في تلك المبادئ العقيدية الرائعة التي تسمو بالإنسان كالدين والوطنية والقومية والحرية والكرامة والإنسانية " (4) ويعد الأمام عبد الحميد بن باديس من رواد الإصلاح في الجزائر ، جسد حب الوطن في أسمى معانيه فكان بطلا شامخا وقف عنده الشاعر في أكثر من قصيدة فنجده في : ذكرى بن باديس ، روح الوفاء ، فزت بالخلد ، علم النور ، في عيد العلم ، كبر النفس *

اعتبره الشاعر أبا و أستاذا ، ومثلا يقتدي بسيرته ، كلما تحدث عنه بين فجيعة الوطن بفقدان المصلح وعبر عن الخسارة الجسيمة للأمة في فقيدها .

والشاعر في قصائده عدد مناقب الرجل ، وخصاله الحميدة وثنى أعماله وجهوده

(1) المصدر السابق ، ص 215-216

(2) المصدر نفسه ، ص 219

(3) صالح خرفي ، شعر الجزائري الحديث ، ص 236

(4) أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 73

* وذلك في الصفحات التالية (110-109-105-107-81-103)

الإصلاحية ، وجهاده الدؤوب لحماية الهوية الوطنية من بطش الاستعمار الذي حاول طمسها بشتى الوسائل كما بين إيقاظه للعزائم وحشده للهمم كما تجلّى في قصيدة كبر النفس(1)

بعث ابن باديس الروح في الشعب الجزائري وشحنه بدروس في الوطنية الحقّة كما اعتنى بتربية الشباب وتعليمهم ، لتحرير الأمة من أغلال العبودية وذلك ما نلمسه في قصيدة علم النور(2)

ويقترن اسم ابن باديس بعيد العلم فيكتب الشاعر قصيدته عيد العلم : (3)
عيد المآثر والجهاد السامي ذكراك فينا حامي الإسلام
نجم الهداية في السنا نضوا التقى ملك الفضائل سيد الأعلام

وكلما لاحت ذكرى الإمام اهتزت مشاعر الربيع بوشامة ، فيقر بلهفة نفسه قائلاً: (4)
لهف نفسي عليك عبد الحميد إن قلبي على فراقك دامي
لهف نفسي عليك روعت شعبا من لأهل الجزائر الأيتام
سائل الروح والملوك عنا تعطك الحر عن كروم جسام
وعندما يقف أمام قبر الإمام يردد متعجبا : (5)

عجا كيف استطعت إيواء جيل كامل بين هذه الجدران
واحتواء شعلة من الله شقت لقواها مرارة الأزمان

لعل هذه النظرة التقديسية تعود إلى مآثر هؤلاء الأبطال وأعمالهم، فهؤلاء نالوا الخلود والشهادة وضحووا بكل ما يملكون ، كما بين الشاعر ذلك في قصيدته فزت بالخلد (6)

فزت بالخلد في حمى الرضوان يا ابن باديس يا فتى الأوطان
ترتقي في عوالم الروح عرشا أثلت عزه يد الرحمن

(1) الربيع بوشامة ،الديوان ، ص103

(2) المصدر نفسه ، ص105

(3) المصدر نفسه ، ص81

(4)المصدر نفسه ، ص111- 112

(5) المصدر نفسه ، ص105

(6) المصدر نفسه ، ص107

تجتلي حسنك الملائك والروح وتصبو إليك في كل آن
والشاعر كما تحدث عن باعث النهضة والإصلاح في الجزائر وخلد ذكره على
صفحات شعره ، لم يبرح يمجّد زميله البشير الإبراهيمي ، الذي كرس لسانه وقلمه
للدفاع عن الجزائر يقول : (1)

ملهم السجع في رياض السلام رتل اليوم أطيّب الأنغام
وأمل الكون روعة وجلالا من أغاني وجدانك المستهام
وأدر في الملاء كئوسا عذابا من سرور مستكمل بسام

خلع الشاعر على البشير الإبراهيمي صفة ملهم السجع* لإدراكه أنه لم يبرع قط في
فن أدبي كما برع في سجع الكهان ف "أوضح فن يبدو فيه الإبراهيمي أدبيا بالمفهوم
الدقيق سجع الكهان و في أحاديث أدبية كان ينشرها في البصائر" (2)

كأنما الشاعر يستحث الإبراهيمي ليطرب الكون بطيب أنغامه ويسقي الملاء من كأس
أدبه المستفيض، "يتحدّى معاصريه بأن يكون ما يكتب يدخل في النتاج ذي الألفاظ
الغريبة وكان يرى... أن ما يراه الناس غريبا إلا على الغرباء عن العربية ، أما
المتطلعون فيها والمتبحرون في علومها ، فإنهم لا غريب عندهم من ألفاظها" (3)

وفي خطاب مفعم بالثناء والتقدير يواصل الشاعر رصف كلماته مشيدا بدور
الإبراهيمي المصلح المربي للشباب، فيصوره أبا عظيما وهاما في قصيدة "ملهم
السجع في رياض السلام" (4)

أضاف الشاعر على مسيرة الإبراهيمي الهيبة والجلال بوصفه ابن البلاد الهمام
وخلص إلى أنه باعث الفكر ورائد البيان فهو "لا يعد أدبيا فحسب ولكن يجب أن
يعتبر أحد مفكرينا المعاصرين لما كان يقوم به من أعمال مختلفة... فقد كان
الإبراهيمي صحفيا ومصلحا اجتماعيا ومربيا روحيا ورجل سياسة، وعالم دين إلى

(1) المصدر السابق ، ص113

(2) عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في لجزائر 1925، 1954 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1
1983 ، ص127

(3) المرجع نفسه ، ص130

(4) الربيع بوشامة ، ص113

* سجع الكهان ، أحاديث قصيرة أدبية كتبت على طريقة المقامات

جانب كونه أديبا ممتازا من الصنف العالي " (1)

أشاد الشاعر ببطولة القلم والأدب بطولة استطاعت أن تخوض في شتى المجالات :
الدينية ، الاجتماعية ، والإصلاحية والسياسية بأداء راقى فعد أديبا جزائريا لامعا
في هذا القرن ، فنحن أمام مثل جزائري حي مثقفا في العصر الحديث لا ينبغي
البحث عنه في أي مكان من العالم فهو قدوتنا فليكن منا الاقتداء الحسن (2)

وللفضيل الورتلاني أيضا حظه في شعر الربيع بوشامة إذ كان بمثابة والده
الروحي ، وتقديرا لهذا الأب حمل الشاعر ريح الصبا تحياته التي تفيض حبا
وتقديرا، فكانت هذه الأبيات التي بث فيها إعجابه واعترافه بالجميل : (3)

حي في الأحرار خواض المحن عبقرى النفس كاشف الفتن

سامي الروح كريم المنتمي طيب المنزع وضاح السنن

فدى الورتلاني شعبه ووطنه بنشر نور العلم والفضيلة وإعلاء كلمة الله وحماية
دينه من الخرافات والأباطيل ، وعد الأستاذ "ثورة على البدع والخرافات ودعوة
إلى الإسلام الصحيح وإحياء اللغة العربية ، لغة الدين والوطن ، وحملة شعواء على
الطريقة الضالة والشعوذة المخربة" (4) عاش الرجل داعية للجزائر في فرنسا وفي
المشرق العربي.

مثل العلماء أحسن تمثيل، وتوفي كالأبطال رغم أنه غريب ودفن بتركيا (5) لذا اهتز

مؤبنا هذا المجاهد الصنديد قائلا : (6)

سنة الله في العصامي أن يحيا دؤوبا معذابا كل أن

يحرق النفس والمواهب حرقا لينير الأفاق للإخوان

(1) عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص154

(2) ينظر أنيسة درار بركات ، أدب النضال في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر (د ط) 1984 ، ص 213

(3) الربيع بوشامة الديوان ، ص114

(4) الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، ط 3 ، ص 13

(5) ينظر محمد زغينة ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص41

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص104

واكتمالا في النفس والعمران

ويسامي كون الملائك مجدا

ومهما حاولت الحديث فمآثر الفقيد لا تفي بها كلمة عابرة مستعجلة ، ومهما أسهبنا في الإشادة بأبطال الجزائر فإننا لن نوفيهم حقهم؛ لأن أمثالهم معين لا ينضب مهما قدم من تضحية ومهما أشبع هذه الأمة المتعطشة بأسمى القيم الوطنية والدينية وجدد أنفاسها .

ويبدو مما سبق أن البعد الوطني في شعر الربيع بوشامة ، تجلى في إشارات بأبطال الجزائر ، هذه البطولات كان لها أوجه متعددة ومواقف متضافرة تزاوجت على أبيات القصائد للترجم وطنيته .

ج- الإشادة بالمرأة الجزائرية

لعل من بين المحاور التي بينت البعد الوطني في شعر الربيع بوشامة حديثه عن المرأة الجزائرية ، إذ أهاب بها شعره إلى خوض غمار الحياة ، فقد " حطمت أسوار التقاليد البالية وقفزت قفزتها الثورية إلى قمم الأطلس ، وساحات المعارك وأخرجتها الانتفاضة التاريخية إلى عالم جديد ، وانتشلتها من أعماق البيوت المظلمة ، إلى آفاق البطولة الزاحفة " (1) وبرز اسم المرأة على صفحات شعر الربيع بوشامة واتخذ أوجها متعددة وأسماء مختلفة تجاوبا مع أدوارها ، فلمسناها ثورية لبت النداء مجاهدة مخلصه وزوجة مناضلة ، وأما ربت المجاهد واحتضنت الشهيد .

والثورة الجزائرية كأي قضية جليلة تضع بصماتها في مصير الإنسانية وتترك صداها في التاريخ ، رسمت على مركب الزمن وجوها كريمة تمثلها، ووجه المرأة أكثر وضوحا ف " ليس من العبث أن تحفظ الشعوب ذكرى امرأة تقمصت في لحظة ما قضية وطنية " (2) فنقش في ذاكرة التاريخ أسماء نساء كثرات * من اللائي عشن ومتن في سبيل الشرف والواجب الوطني وذلك ما يظهر في قول الشاعر: (3)

وغدت للسنا خير عماد

بنت عرب تجردت للمعالي

(1) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص247

(2) حواس بري ، شعر مغدي ، ص105

* مثل جان دارك التي خلصت شعبها من طاغية مستبد مثل سارلوت كورديه ، والكاهنة التي قاومت عقبة بن نافع وكذا لالة فاطمة

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص189

لبناء العلى ونيل المراد

ثم راحت تسعى بحزم وجد

حملت المرأة الجزائرية وطنها في قلبها ونزلت المقصلة لتهد شعبيها الحياة فكانت لها صور رائعة في صفحات الكفاح تزخر بأمثلة الصمود ، هي الفدائية التي دخلت أتون النضال ، ودافعت عن كرامة بلادها وخاضت حرب التحرير تساند في حمل أعباء الحياة فقال عنها : (1)

فادخلي ساح النضال

يا ابنة العرب تعالي

للمعالي و الكمال

وادأبي مثل الرجال

رمز فضل وكمال

عشت خير السيدات

خالد من معارف وعتاد

وقال أيضا : (2) وابتني مثل أهلك العز مجدا

وتفنن في وصفها يا شادي

واشد في فضلها بكل جميل

دور المرأة في ساحات الوغى نهضة للتجديد وثورة على الفساد، وذلك ما نجده

في قول الشاعر: (3)

رب أنثى أجرت عليه انقلابا

نهضة الشعب من جميع بنيه

تمثل " المرأة و الرجل قطبا الإنسانية ولا معنى لأحدهما بغير الآخر، فلئن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات فإن المرأة قد كونت نوابغ الرجال" (4)

أنجبت المرأة الجزائرية شعبا أبيا سار على طريق المجد ليبني جدار الحرية بالجماعم ويخضبه بدماء الشهداء، فهو شعب رضع الحرية حتى الثمالة وتغذى الفضيلة والاستقامة، فاكنتسبت المرأة من خلاله هالة من العز والبطولة فقال عنها : (5)

أنت أصل للمعال

أنت ركن للحياة

(1) المصدر السابق ، ص 179

(2) المصدر نفسه ، ص 189

(3) المصدر نفسه ، ص 69

(4) حواس بري ، شعر مقدي ، ص 107

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 179

لصناديد الرجال

أنت خير المنجبات

همه خير الفعال

بك سامي كل بان

ونساء الجزائر دخر للبلاد في الأيام الحالكات وفي هن يقول الشاعر: (1)

وارع فيهن حرمة الأخوات

حي في العرب عزة الفتيات

من بنات حرائر طبيبات

وابن للشعب خير جند عتيد

صور الشاعر المرأة وهي تؤدي دورها في ساحات الوغى فضلا عن دورها في صنع الرجال الذين يتربون في حضنها تربية تؤهلهم للدفاع عن وطنهم وشرفهم ودينهم ، فكان للمرأة ما يميزها ليتخرج على يدها العظماء.

وبين الجزائر والمرأة خيط رفيع في شعر الربيع بوشامة ، فكثيرا ماتجلت صورة الوطن في صورة المرأة ففي قصيدة " أرني حسنا " خلع الشاعر على المرأة ثوبا من الشموخ والجلال ، وتمثل الجزائر في صورتها فساقته مشاعره وأمانيه ليجتمع بها ويلقاها فأنشد : (2)

فيك إلا موحيات للشجب

إيه يا سلواي مالي لا أرى

وطوت عنك الروا أيدي الغلب

أترى غيرت ما قد مضى

بعد نجوى عميد القلب صب

إنني اليوم أناجيك على

في مجال الأنس من أرض العرب

وعسى الأيام أن تجمعنا

جرح خيال الشاعر بعيدا وجمع بين حال الجزائر ووضعية المرأة المقهورة وتجلّى

ذلك في قصيدته " فجعوها " إذ شبه الجزائر بامرأة حسناء مغلوبة على أمرها أجبرت على الزواج بمن لا يهواه قلبها ، فهي تزوجته بشرعية الأرض لا بإرادة السماء ، بيعت لهذا الزوج نتيجة مؤامرة حقيرة ودنيئة ، ذلك هو حال الجزائر مع فرنسا في نظر الشعب فهي تحيا الذل وتتنفس الهوان في ظل دخيل مستبد ، فرض عليها بقوة العتاد ، بعد ما كانت عليه من عزة وكرامة فيقول : (3)

(1) المصدر السابق ، ص 248

(2) المصدر نفسه ، ص 171

(3) المصدر نفسه ، ص 171

فجعوها في حلمها البسام دون رحمة بقلبها المستهام
وقضوا أن تحيا حياة المآسي في أشد الشقاء وأقسى الضرام
ويسترسل الربيع بوشامة في حديثه المنساب عن بنت الحمى ليعاتب الوالد الظالم
الذي أهدى فلذة كبده إلى من لا تطيق ، وكأن الوالد هنا يمثل سطوة الأقدار أو
جبروت الزمن فرض فرنسا على الجزائر فأ نزل بها عقوبة الإعدام يقول : (1)
أيها الوالد الشفوق أتدري أي قلب حطمت بالإرغام
أم ترى أي ابنة دست ظلما حر وجدانها يهون وذام
وتحكمت في هواها وأنزل ت عليها عقوبة الإعدام

"ولأن المرأة عالم قائم بذاته " (2) كان ديوان الشاعر يموج بالقصائد التي اتخذتها
عمودا لها ومحورا لأحداثها فكانت له (قل للفتاة ، سر دنيائي ، زهرة ، منية النفس
رأيتك في المنام ، هذا الغرام ، مليكة الحسن) *

وكان للمرأة الزوجة نصيبا في شعر الربيع بوشامة إذ مثلت السكن الروحي
والأمن النفسي ، وخاصة لما لها من عهود ومواثيق زوجية ، فهي رمز للوفاء
والإخلاص ، وتكتسب هذه العلاقة القداسة فيشتد التعلق ويزداد التوجه إلى الحبيب (3)
الذي ينتظر وراء الآفاق البعيدة ، فيصرح الشاعر بأشواقه لزوجته ، وقمة
الاعتراف بالزوجة ذكر اسمها فيقول : (4)

زوجتي كيف أنتم والقراية يا حبيباً أفدى بعمر شبابه
أي بالله يا "فطيمة" قلبي حدثيني بالروح طي الكتابة
إن حرفا من فيك يسعد حالي ويجلي عني أشد شجاعة
إن قلبي لخافق و مشوق لنحوكم دائما يوالى اضطرابه

(1) المصدر السابق ، ص 170

(2) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 49

* وذلك في الصفحات التالية من الديوان (23 إلى 128 ، و 141 و 161)

(3) ينظر محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 49 نقلا عن أحمد مختارة البرزة الاسر والسجن في شعر الغرب ، ص 584

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 210

جعل الشاعر من الحب والحنين مسرى لأشواقه واعترافه للمرأة في جو من البوح الاجتماعي، فكان شعره يصدر "صدورا طبيعيا كما يصدر الضوء من الشمس ، وكما يصدر العبير عن الزهر، وكما تثير الروضة في نفسك ما تثير من الشعور الجميل فضوء الشمس لا يصدر عنها لتحقيق الأغراض ولبلوغ الغايات ... وإنما يصدر عنها بطبيعته"⁽¹⁾

فوجد المرأة رمزا لعظمة الوطن ، رمزا للحرية، رمزا للجمال والروعة ورمزا للوفاء والإخلاص ف"أعطى أهمية كبرى للمرأة أختا وأما وزوجة ومجاهدة" ⁽²⁾

وعن منبع الحنان تغنى الشاعر بالأمومة، تحدث عن التي " استيقظ إحساسه بالحياة على هدهدة حنائها، وأبصر طريقه في الوجود على نور رعايتها... وخاطب العالم من خلال الوحي والإلهام الذي زخرفت به دربه" ⁽³⁾ فكان لها نصيبها في شعره حين قال : ⁽⁴⁾

تلك الأمومة عند قوم تعبد	يا ليتها فينا ترى ما يسعد
يا أمة أنت كريمة موصولة	فينا ، وذكرك مستطاب أحمد
كتبت لك الأقدار كل كرامة	وحماك تنزيل السما ومحمد
وحماك رب العرش روح قداسة	تصبو النفوس لسرها وتودد
وكفاك منا سلوة وتجلة	أمالنا العليا ، ونعم المسعد

وللمرأة منزلة رفيعة ، بعيدا عن ثوب المادة البراق ، ألبسها الشاعر من مظاهر الجمال وعناصر الطبيعة ما جعل إقبالها إشراقة ونور وريحان ، فاتنة كالطفولة والنسيم والفجر فقال : ⁽⁵⁾

أشرقت كالنور أو كالروح في جسد	أو كالطبيعة في بستانها الحالي
أو كالرياحين رفت في حضائرها	أو كالنسائم في فجر وأصال

(1) محمد زغينة ، شهداء الثورة التحريرية ، ص52

(2) المرجع نفسه ، ص96

(3) خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة 1984 ، ص 126 – 127

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص142-143

(5) المصدر نفسه ، ص121

أو كالطفولة في أحلى مناظرها ألقى بها الله في أحضان مقلال
جعل الشاعر من الطبيعة مادة له تأملا وتفكرا ، فكانت مطيته لوصف المرأة وفي
ذلك يقول: (1)

عرضت لي مسحورة النظرات عذبة من ملاك الجنات
تنثني في الملاذ غصنا رطيبا رف بين الأنداء والنسمات
وقال أيضا: (2)

سر دنيائي أنت روح الجمال فيك لي نزهة ومرعى
أنت فيض ملائكي لطيف منك أهنأ غذا وخير نوال
استطاع الشاعر أن يرسم للمرأة صورة لا تزول من الأذهان كشعراء المهجر الذين
يعطرون برائحة الورود أحببتهم ، ويلبسون من جمالها الأخاذ أعزتهم فكانت له
قصيدة زهرة (3)

تحدث الشاعر عن المرأة الجزائرية التي شاركت في ثورة التحرير ، وضحت بكل
نفيس من أجل وطنها ، فكانت رمزا للجهاد والتضحية والوطنية في تاريخ الجزائر.
أحبت المرأة الجزائرية وطنها فحملته في ضميرها وبين ضلوعها وجوارحها وإذا
تلمست ملامحها في شعر الربيع بوشامة وجدتها امرأة شجاعة وأما قوية فكانت
مصدر فخر للجزائر.

د- تمجيد الثورة

تلمس الشاعر قيام الثورة وهي لا تزال في مخابىء الغيب وتغنى ببطولاتها قبل
وقوعها فاستقبلها " بهدوء المتوقع ، وكمون الموقد للفتيلة يترقب انفجارها " (4)
وثورة الشعر مهدت لثورة الشعب وأضرمت نارها ، إذ كان الوعي محرّكها " فكان
هذا الشعر ثورة على نواحي التأخر الاجتماعية والثقافية ، كان ثورة على الجهل

(1) المصدر السابق ، ص 41

(2) المصدر نفسه ، ص 124

(3) المصدر نفسه ، ص 126

(4) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 223

والفقر والمرض وثورة على الأعداء من استعماريين ومشعوذين فكان هذا الشعر النضالي يدعو إلى تغيير الواقع ، ويشحن أفراد الشعب بطاقات من العزة والإحساس القومي ، يبيت فيهم الروح الوطنية ويلهب حماسها للاستعداد الثوري ولهذا سمينا هذا الشعر النضالي الذي وجد قبل الثورة المسلحة ... شعر التوعية واليقظة " (1)

وأحداث الثامن ماي 1945 م من الضربات التي هزت كيان الوجود الاستعماري هذه المظاهرات التي كانت ضريبتها 45 ألف شهيد عدت إرهابا للثورة ومنعظفا في تاريخ الجزائر فهي " فاصلا تاريخيا هاما في حياة الشعب الجزائري من الناحيتين السياسية والثقافية " (2) فقد أنحبس الشعر في أهوال هذا الشهر الرهيب وأصيب بذهول نتيجة الصدمة " فسكت الشعر بعد هذه المجازر سنوات لا يحبر كلمة " (3) ولكن قفص الصمت لم يدم طويلا إذ ما لبث الشعراء أن انفجروا في ذكرى الدماء والدموع مصور بين فداحة الخطب الجلل، وجسامة الهول المروع متوعددين بالانتقام فأحداث ماي "نقطة انطلاق جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، إذ صعدت النقمة الشعبية وتكتلت العناصر الرافضة في طريق الثورة إنها بداية اليقظة والفاصل التاريخي بين فترة التردد وفترة القتال" (4) وكلما لاح طيف الذكرى القاسية اكتسح الأسى خيالات الشاعر وجوانحه ؛ لأنه تعرض على إثر هذه المذابح للسجن ففضى تسعة أشهر يكابد الألم " فيتملكه الجزع كلما لاحت الذكرى بملامحها الأصلية مرعبة مزعجة صاحبة ناحبة إنه يتطلع إلى مواقف تغير هذه الملامح ، وتكفكف تلك الدموع ، وتضمد تلك الجراح (5) كلما أطل الشهر لم يحمل معه غير الذكريات البائسة لذلك يصرخ في وجهه عجا لوجهك كيف عاد لحاله فيقول: (6)

لي فيك يا ماي النوائب ذكرى ستبقى طيلة الأعوام

فقدان خير أب وأكرم صحبة وجحيم سجن ، حف بالإعدام

(1) أنيسة درار بركات ، أدب النضال في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص (79 – 80)

(2) المرجع نفسه ، ص 79

(3) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 79

(4) دلوز سلي مان ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ص 316

(5) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 215

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 58

عجبا لوجهك كيف عاد لحاله
شابت لهولك في الجزائر صبية
من بعد أحداث عرتك حسام
وانماع صخر من أذاك الطامي
والطلعة إن تكن للشؤم ، فهي للاستفزاز ، والذكرى إن تكن للسوء فهي للاستصراخ
إنه شهر الدماء والدموع يقول : (1)

يا ماي ما لك واجما لم تنتقم
هذا حرامك بالدماء مشهود
أو ما سقاك الظلم أسوأ جام
قد عج بالأرواح والأجسام
يا ماي أن في انتظار حكومة
فمتى يساق الظلم للإعدام
عجل لهذا (الغرب) من رب
السما بقواصم متاحة والغرام

وتوالت صرخات الشاعر فكان له " سر على الدمع والدماء الغوالي " و " برغمك
ماي " متخذا من المأساة دعوة لثورة عارمة فكان شعره " رؤى وصبابات
وأحاسيس ثورية الأهواء ... إرهابا للثورة ، وإعدادا للجهاد ، ونداء للمجابهة " (2)
فكانت قصائده في ذكرى الثامن ماي من صميم وطنيته فحبه الصادق لوطنه جعله
ينال " الريادة في الحلم بالثورة فارتفع إلى مستوى النبوءة ثم واكب مسيرتها
المظفرة لينقل صورا نادرة ، من ملامحها البطولية فكان ممن كتب من قلب الثورة
ومن صميم جو الثورات التي سبقتها منذ عشرات الأعوام ، نشأ وترعرع هذا
الشاعر متبنيا قضية الجزائر بكل مادها وعمقها وبجميع دلالاتها وأبعادها فعاش
متحمسا لآلام وآمال الجماهير الشعبية الكادحة ، التي أوقدت لهيبها ، ورفعت
مشعلها فصور ذلك كله بواقعية حية وإخلاص عميق " (3)

انطلقت " الثورة لتجدد الحنين إلى التربة، وتبعث الاعتزاز بالأرض الخصبة
وتسترجع الفردوس المفقود " (4) فأذكت العواطف وهزت المشاعر الأقلام، فتغنى
شاعرنا بالجزائر وثورتها وبالمواقف البطولية الرائعة لأبنائها ، وكما دعى الشاعر
إلى رفع لواء الثورة قبل قيامها ، أصر على احتضانها متخذا من واقع وطنه الحزين

(1) المصدر نفسه ، ص 59 – 60

(2) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 102

* القصيدة قيلت في ذكرى الثامن ماي تحت عنوان عجبا لوجهك كيف عاد لحاله

(3) حواس بري ، مفدي زكريا ، دراسة وتقويم ، ص 54

(4) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 253

منطلقا له ، فتارة يرهب العدو و يتوعده وتارة يستنهض الشعب ، وأخرى يشيد بالبطولة ففي قصيدته ليت شعري " ماذا جنته زواوة " يحذر العدو قائلا : (1)

قل لطاغ مستهتر أبعد النجعة خلف الآ كام داء الليالي
لا تظنوا الدهر الذي قد جفانا سوف يبقى معكم على كل حال
إن يكن غركم حديد ونار فالدوايب عرضة للزوال

هذه هي الرسالة التي وجهها الشاعر للمستعمر ، وحققها الشعب بثبوته ، لأن الثبات على العهد والمبدأ – عهد الثورة ومبدأ الاستقلال – هو ما رسخه الشاعر في نفس الشعب لصد كيد الأعداء فهو يقول: (2)

أيها الشعب لا تهن إن تداعت حولك النائبات كالأصلال
فترى الشامتين ضعفا وأنت السحر -صدقا- تبني حياة الكمال
أيها الشعب واصل السعي واصبر إن صبح الآمال في إقبال

ولأن " الثورة رشحت بقوتها وأصالتها كل الفئات للعمل والنضال في نطاقها التقى فيها الشيخ والكهل و المرأة والشباب وكل ساهم فيها بقدر ما أوتي من قوة أو طاقة وبذلك تحقق النصر وخرجت فرنسا تجر أذيال الهزيمة " (3) وفي هذا يقول الشاعر: (4)

لا يوم أروع من يوم تقوم به حرا محطم أغلال وأوزار
لا شيء أغلى من التحرير يكسبه مجاهد بعد الآم وأخطار
فك البلاد وقاد مجد آمنه من عيشة الذل بين السيف والنار

ولأن الثورة قامت من أجل الحرية ، ندد الشاعر بوجود الاستعمار في البلاد ورأى في أبناء وطنه الأمل الوحيد الذي بإمكانه كسر شوكة العدو وتطهير الوطن من

(1) الربيع بوشامة ، الديوان 66

(2) المصدر نفسه ، ص66

(3) حواس بري ، شعر مفدي ، دراسة وتقويم ، ص164

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص70

قهره وظلمه ، فكتب الشاعر حقق لشعبك غاية الأمل (1)

الجزائر أرض طيبة لابد أن تطهر قراها وجبالها من بذور الذل والهوان وليكن
تطهيرها شبرا بشبرا كما دعى الشاعر إلى ذلك : (2)

وارتد بهم كل الفياقي والقرى ترعى خطاك عناية المتعال

وتتبعن فلولهم بصرامة في كل أرض من قرى وجبال

واحكم عليها بالفناء وطهرن وطني الجزائر من بذور وبال

وانزع بأيديك العواتي أرضنا من قبضة المستعمر الدجال

واستصفها شبرا بشبرا عنوة وارفع عليها راية الاستقلال

طال أمر الشعب في التعذيب وما من ملح ولو من بعيد ينقذه من العذاب

فيقول : (3)

وافد شعبا طال في التعذيب لم يبقى من أرواحه غير الدما

وأمام سياسة فرق تسد التي انتهجها الاستعمار منذ البداية للقضاء على وحدة الشعب
الجزائري ومنعه من أي محاولة تمكنه من مقارعة الخصم ، دعى الشاعر إلى جمع
الشمّل وتوحيد الصفوف بعد استئصال داء التفرقة من أساسه يقول : (4)

فأسع للغايات سعيا دائما وأقم القصد من غير وناء
وأحذر الأعداء أو فتنة من يقصد التفريق أو بث العداء

وقوله : (5)

أيا باني الشعب هذي يد تضم الشتات وتشفي الأحن

وتنشئ بالعلم جند الفدا يكافح في السر وفي العلن

(1) المصدر السابق ، ص 235

(2) المصدر نفسه ، ص 235 - 236

(3) المصدر نفسه ، ص 188

(4) المصدر نفسه ، ص 188

(5) المصدر نفسه ، ص 91

وما دامت الحرية حق مشروع للشعب فلا بد أن تكون " الدعوة إلى النضال في سبيل

الحرية أمر شائع في شعر الجزائر ؛ لأن بدونه لا يمكن للشعب أن يصمد ومن هنا تنتشر هذه الدعوة في ثنايا القصائد التي قيلت في الثورة " (1) وهذا النضال لن يكون إلا بتوحيد الشعب مادام الهدف واحد ف "توحيد الأهداف ضرورة في عالم لا يفلح به الواحد المنفرد ، والشعوب التي تفرق أمرها تكون لقمة سائغة في يد الأعداء" (2)

لذلك كثيرا ما دعى الشاعر إلى توحيد الرأي والجهود في قوله : (3)

وحد الرأي والجهود وكافح إنما تجنى المنى بالنضال

كم جريح أحيت دماه شعوبا مثلما قوضت صروح الضلال
لاشك أن حب الوطن هو الدافع الذي " يرتمي الشعراء من أجله في براكين الثورات
شاهدين عليها بشعرهم ومشاركين فيها بأنفسهم حتى تحفل بهم الزنازن وتمتليء
بهم السجون فيدشنون المقاصل غير أبهين بما تفعله أيدي" (4) الظالمين والطغاة

هاجس الثورة كان ينمو يوما بعد يوم بداخل الشاعر ، وترجم تلك الثورة في تحفيزه
للشعب على القتال والنضال ، يوم الروع الأكبر فيردد : (5)

اعمل النار والضبي في الأعادي إنما هذا اليوم يوم الجهاد

ثورة الشاعر لاستنهاض الشعب الجزائري منصهرة بنار متأججة ، ومخضبة
بغضب عنيف ، هي ثورة كره وتمرد على كل دخيل طاغ.

المنتبع لخطى الشاعر " يجده يحدو الثورة ويسجل حقائقها ليكون بذلك شاهدا عليها
في السجون والمعتقلات تارة ، وفي ساحات الجهاد تارة أخرى وهو يكشف الحقد
الدفين والمكر المميت للعروبة والإسلام في الجزائر ، كما يدحض ادعاءات فرنسا
على الجزائر" (6)

وأحيانا كثيرة تتجلى علاقة الثورة بالوطن الجزائر في بطولة أبنائه فيصور الشاعر

(1) عبد الله ركيبي ، الشعر في زمن الحرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994 ، ص 77

(2) يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي ، دار الشعب قسنطينة ، الجزائر 1987 ، ص 133

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 66

(4) حواس بري ، شعر مفدي زكريا ، ص 59

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 220

(6) حواس بري ، شعر مفدي زكريا ، ص 64 – 65

بطولة هؤلاء التي انعكست في كفاحهم الأسطوري الزاخر بالتضحيات الخيالية
حين قال: (1)

لا تهن أو تلتن فإن حوالي لك من الله أعظم الأمراد
وقوى الشعب كله وهي بعد الله خير القوى وأكبر زاد
فهي في حقها المقدس أقوى من جميع القوات والعاد

و " جزاء الخيانة " قصيدة أخرى للشاعر يشيد فيها بعزة جنود جبهة التحرير
وشدة بأسهم وسطوتهم التي كسرت غرور المستعمر وهزت كيانه الذميم قائلا : (2)

وضربت الخصم أقصى ضربة ضعضت هيكله الواهي الذميم
ورمت آماله من خالقنا ومسحت ما كان يبني من قديم
يسأل الناس على غير هدى أمن الثورة ذا الخطب العريم

ما نخلص إليه هو أن الثورة في شعر الربيع بوشامة ليست موضوعا بقدر ما هي
تعبير عن قضايا وطنه ، عن حبه لوطنه والحفاظ على هويته الإسلامية العربية
الجزائرية.

مما سبق نستخلص أن التعلق بالوطن و الارتباط به ظاهرة يشترك فيها كل الناس
منذ أن عرفوا قيمته وأدركوا بأنه مصدر الوطنية ، وسر نجاح المقاومة الجزائرية
عبر تاريخها الطويل يعود في الأساس " إلى التمسك بالوطن والوطنية والذود عن
حماها ، وما ثورة أول نوفمبر إلا تنويجا لتلك الروح الوطنية ، التي تعززت
وأصرها أكثر من ذي قبل ، ولعل في الشواهد الشعرية التي مرت بنا ما فيه الكفاية
حول تبيان أبرز الأبعاد الوطنية " (3)

فاهتمام الشاعر بموضوع الوطنية كان على أساس إحساسه القوي بالوطنية وبانتمائه
إلى أرض وتاريخ وهوية عكست حبه للوطن ، وتميزه ورفضه الاندماج في وطن
أجنبي عنه حيث عمق الشعر بين إحساس المواطن بهذا وبماضيه ، وعمق الارتباط
به والكفاح من أجل بقائه واستقلال.

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص220

(2) المصدر نفسه ، ص230

(3) مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي ، ص 117 – 118

الفصل الثاني

البعد الوجداني

1- مفهوم الوجداني

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2- الوجدانية في الشعر الجزائري

3- تجليات الوجدانية في شعر الربيع بوشامة

- توطئه

أ- رثاء الشهداء وتعظيم الأموات

ب- الذاتية والهروب للطبيعة

ج- الشوق والحنين

هـ - التعبير عن الجماعة

د - الأناشيد

1- مفهوم الوجدانية

أ- الوجدانية لغة

تتعلق الوجدانية لدى أي شاعر بالحياة الشعورية الدفينة في كوامن نفسه ، فهذا الوجدان يضج بأحاسيس الألم والفرح والحزن والعذاب والحنين والشوق والحب والكره ... وكل المشاعر التي يمكن أن تظهر بكلمات تحمل معاني مختلفة في النفس.

وفي المعاجم اللغوية وردت كلمة الوجدانية بدلالات مختلفة على النحو التالي :
جاء في لسان العرب لابن منظور مادة " وجد " .

وجد مطلوبه الشيء " يجده " والمصدر " وجدا " و " وجدانا " وأو جده أياه أي جعله يجده . و قد وجدت بفلان : أي حزنت له . وتوجد فلان أمر كذا إذا شكاه وهم لا يتواجدون سهر ليلهم ولا سلوان ما مسهم من مشقة (1)

" والوجدان " مصدر كلمة وجدان ، وفي عرف بعضهم هو النفس وقواها الباطنية والوجدانية جمع وجدانيات، ما يجده كل أحد في نفسه وهو يدرك بالقوى الباطنية (2) والمقصود بالقوى الباطنية للإنسان خوالج نفسه وعواطفه ومشاعره فهي التي تكون وجدانه

وكلمة الوجدان في المعجم الوسيط مأخوذة من " وجد وجدا ووجودا ووجدانا ويوجد وجدا به : أحبه حبا شديدا ووجد له : حزن ، وتوجد به أحبه وكل من " الوجد والوجد " مصادر الغنى والمحبة والفرح والقدرة يقال : هذا من وجدي أي من قدرتي (3)

ومهما تنوعت التعاريف في شرح مصطلح الوجدانية فإن غموض المصطلح يبقى قائما؛ لأن الأمر يتعلق بخوالج النفس البشرية .

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، المجلد الثالث ، دت ، دط ، ص30

(2) منجد الأعلام ، دار الشرق ، بيروت ، ج 2 ، ص888

(3) المعجم الوسيط ، قام بإخراجه (ابراهيم مصطفى حامد عبد القادر وأحمد حسن الزيات ومحمد علي النجار) المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر والتوزيع ، اسطنبول تركيا ، مادة وجد

ب- الوجدانية اصطلاحاً

الوجدانية لون من الأدب الذاتي الغنائي، الذي يبتعد عن النظرة الموضوعية للأشياء، فيكون صدى لأحاسيس الأديب العفوية وترجمانا لقلقه

وهي عند البعض " حالات نفسية من حيث تأثرها باللذة والألم، غير مؤدية إلى المعرفة في مقابل عمليات التصوير والتفكير، لأن الوجدان البشري لا يدرك نواقص الحياة ، وحتى معانيها إلا من الصدام المؤلم " (1)

والوجدانية أشمل من الرومانسية وأعم ؛ لأن الرومانسية مدرسة لها قوانينها وهمومها واتجاهاتها حسب البلدان الأوروبية ووفق محيطها العام والخاص (2)

والوجدانية فنيا هي " صفة ما هو متعلق بالوجدان في معناه الأول ... التأثيرية والانفعالية الشديدة الحساسية بالآم واللذة " (3) لذلك يمكن القول أنها الذاتية الشديدة الصلة بالألم والحنين والشوق وفيض القلب ، وكل ما يصور أو يعبر عن الذات القلقة ، واضطراب الوجدان فهي تجربة ذاتية لها دلالاتها الرحبة .

وكما هو معروف أن النفس الوجدانية ، " نفس تعيش في صراع دائم في نطاقين الأول مع ذاتها بين المادة والروح ، والثاني مع خارجها بين الواقع والمثال ، قد انتهى بها الثاني إلى التمرد تارة وإلى الانطواء أخرى " (4)

والوجدانية عند الشعراء " رد فعل تلقائي من قبل الشعراء للتعبير عن مشاعرهم " (5) فهي عندهم شعرا ذاتيا انفعاليا، يحمل الكثير من الذوق الفني للشاعر ويكشف معاناته ومحاولاته للإمساك باللحظات الغريبة من حياته وبخاصة في لحظات الاحتراق والتوتر وجذوة الارتقاء... فتتراءى التجربة الإبداعية في إشراقة الرؤى وفي ساحات الوجد ، حين تصارع النفس أمواج الهوى العاتية فتتحرك بذلك أرواحنا

(1) حيور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، ط2 ، 1984 ، ص 289

(2) ينظر ف ، ل ، سولنيه ، الرومانتيكية في الأدب الفرنسي ، منشورات عويدات ، لبنان ، ط1 ، 1960

(3) حيور عبد النور ، المعجم الأدبي ، ص 989

(4) نعيم الباقي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ط1 ، 1983 ، ص

(5) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 124

وتلامس وجداننا (1) ومهما تعددت التعاريف حول مصطلح الوجدانية فإننا نعمم لنقول أن الوجدانية تصورات قلقة تخاطب العاطفة ، وتتناجي الوجدان بانفعال ذاتي مشحون موغل في الأنا - خاصة حين تغطي موجات الألم - يجنح صاحبها عن العقل والذهن ويبتعد عن الغيرية والموضوعية للأشياء ، فهي التصوير التأثيري الانفعالي لحالات النفس المختلفة بكلمات موحية ، وصور مركبة ، تنسجم مع ما يتفجر في النفس وما تعج به التجربة .

.....
(1) ينظر محمد زغبنة ، الوجدانية في أنموذج الزمان ، الحاج لخضر باتنة ، 2002 – 2003 ، ص 02

2- الوجدانية في الشعر الجزائري

استخدم مصطلح الوجدانية الكثير من الأدباء والشعراء الجزائريين، وكانت ظاهرة إنسانية وسمت بالحنين والشوق إلى المثل العليا، ومناجاة الأمل المنتظر والفجر الأتي ، وهم يعنون بالشعر الوجداني ذلك الشعر الذي ضمنه أصحابه آلام نفوسهم وآمالهم ، واستودعوه همومهم ، فأتوا فيه " وكانت البداية الحقيقية لهذا الاتجاه في الشعر الجزائري الحديث على يد رمضان حمود ، في أواسط العشرينات وقد اتضح ذلك بجلاء من خلال آرائه ونظرياته ، ومحاولته تطبيق ذلك في شعره وظل صوتا متميزا منفردا في جو تطغى عليه المحافظة والتقليد " (1) و بدأ الشاعر رمضان حمود " نشر آرائه تلك في سلسلة مقالات مطولة تحت عنوان حقيقة الشعر

وفوائده * " (2) ولن يقلل من أهمية " دعوة رمضان حمود في هذا المجال كونها جاءت متفردة ، فكل البدايات الإبداعية تجيء كذلك ، ولكون صاحبها لم يستطع أن يشفع نظرياته بنماذج شعرية موفقة فإن غيره من رواد التجديد من أمثال العقاد وأحمد زكي وأبي شادي لم يستطيعوا التوفيق بين النظري والتطبيق " (3) وأول بذرة للتجديد قصيدة يا قلبي** التي يقول فيها : (4)

يا قلبي هل لأوصبك من طبيب يداويها

وهل لحزنك من غاية يقف فيها

ما هذا الشقاء الذي تهتز منه جوانبك

أما أن للبدر أن يسطع في سمائك

عبرت محاولته النقدية والشعرية معا عن حاجته إلى تجاوز الإطار التقليدي ، فظل صوته فريدا متميزا " لكن سرعان ما خبا هذا الصوت الشاب بموت صاحبه *** غير

(1) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص125

* بمجلة الشهاب ابتداء من الثاني من شهر فيفري سنة 1927

(2) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص126

(3) المرجع نفسه ، ص150

** نشرها في العدد (96) من جريدة واد ميزاب في 10-08-1928

(4) عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ص77

أن الفترة العصبية التي كانت الجزائر تمر بها اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا قبيل الحرب العالمية الثانية وأثناءها وبعدها، فجرت الشعر الوجداني على ألسنة بعض الشعراء مرة أخرى ووجهتهم إلى هذه الوجهة" (1) فظهر على الساحة الأدبية شاعران يتميزان بنظرة وجدانية " واتضحت في شعرهما نغمة التغني بالألم الذاتي وجعله مدارا للشعر اتضاحا قويا ، وهما أحمد سحنون ومبارك جلواح ، وهذان الشاعران وإن لم يتركنا لنا نصوصا نقدية كما فعل رمضان حمود ، فإن إنتاجهما الشعري ينبئ عن مفهوم وجداني متميز ، وكانت العاطفة الجياشة هي المحرك والدافع لهذه الرحلة الشعرية القاسية " (2) فعبّر مبارك جلواح عن مشاعره الوجدانية الطافحة ، وعن "الإحباطات الضارية النفسية والعاطفية ... عان الرجل الغربية وكابد الشوق إلى وطنه مثلما بدا في وضع قاس بمدينة باريس هائما في شوارعها مناجيا نهرها السين " (3) فقال : (4)

كم بات حولك من فؤاد دامي
يا راقص الأمواج في حضن الصبا
يشكو إليك كوامن الآلام
والليل ساج والورى بمنام
لم يبق لي ياسين في ذي الكون من
خدن يصانعني ولو بكلام

فيبدو أنه صور مشاعره المرهفة ، " فراح يعبر عن هذه الأحاسيس بنغمة حزينة تصور بصدق ما يعاني منه هذا الشاعر من ألم حاد ، و صراع نفسي ، ويأس من الواقع وحنين إلى عالم أفضل ... ظل يصدر في كل ما كتب عن مفهوم

وجداني " (5) ، فقد مر الشاعر بتجربتين عاطفتين بدتا قاسيتين أثرتا في نفسه وجعلتاه يجنح إلى زهد في الحب فيقول في قصيدة وداعا غرامي: (6)

وداعا غرامي فقد يؤست ومن تخب
فأول حبي في سما مستغـانم
دوامله الآمال في الحب ييأس
طوى نجمه الهجران في جنح حندس

(1) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 136 – 137

(2) المزج نفسه ، ص 137

(3) عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ص 86

(4) عبد الله ركيبي ، الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، سنة 1980 ، ص 345

(5) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 138

(6) عبد الله ركيبي ، الشاعر جلواح من تمرد إلى الانتحار ، ص 527

وآخر حبي قد فقدت هلاله
تحدثني نفسي بأن أبلغ المنى
بباريس في حي الفؤاد المقدس
وقد آن أن أبدو بظهر مقوس
"عكس جلواح روح الأديب الفنان ذي المثل الإنسانية السامية في صعوبة توافقه مع
محيطه الرازح في الأحوال البشرية" (1) فعبر عن خوالج صدره ومكنونات نفسه
بلغته الوجدانية الإنسانية .

أما الشاعر أحمد سحنون * " أفصح عن اتجاهه الوجداني من خلال رده على أولئك
النقاد الذين اتهموه بالسكوت فبين لهم بأن الشعر وجدان وإحساس عميق " (2) وبين
ذلك في مقدمة ديوانه حيث يقول : (3)

وكل بيت صيغ لم أحبه
وكان حادي رحلتي ما دجى
مني الحياة دون إتقان
من ليل آلامي وأحزاني
غلب على شعره اتجاهه الإصلاحي المحافظ ممزوجا بميوله للطابع الوجداني.

وظهرت شخصية أخرى تمثلت في محمد الأخضر السائحي ** الذي اتسم
بالوجدانية الواضحة في ديوانه همسات وصرخات فهو يحفل " بالموضوعات
الوطنية والتاريخية والوجدانية ومن أهم قصائده في اللون الأخير قصيدة وجدتها" (4)
التي يقول فيها: (5)

وجدتك يا نبع هذا الهـنا
ويا عطر كل الربى والمروج
ومطلع هذا السنا المشرق
تموج في الزهر المؤنق
ونلقي طفولتنا الهانيه
وننسى بها رعشات لـوع
وهزاتها المرة القاسية

(1) عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ص87

* شاعر جزائري

(2) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص137

(3) أحمد سحنون ، الديوان ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1977 ، ط 1 ، ص 10

(4) عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ص87

(5) المرجع نفسه ، ص88

** من مواليد قرية العليا في الجنوب الجزائري سنة 1918

ومن المبدعين في الشعر وجداني بكل ألوانه وظلاله الشاعر أبو القاسم خمار
الذي "تألفت وجدانياته في دواوينه المختلفة أوراق ، ظلال وأصداء ، ربيعي
الجريح ، الحرف الضوء" (1) فالتحم "الهم الوطني بالذاتي في دواوينه ، وتوازي
الشوق إلى الوطن مع الشوق إلى الحبيبة ، فالتحم حب الأرض بحب الحبيبة وما
أعظم ذلك الالتحام حين يفجر هذا الشوق والشاعر بعيدا عن وطنه " (2) تاق إليها
والثورة في أعز لهيبها ، والبطش الاستعماري في قمة جبروته فقال: (3)

يا صديقي هل إلى ملهبة الأحلام مسرى

أين مني منزلي الزاهي... وأين الآن زهرا

أين مني ؟ علها في محشد تهتز ذعرا

وعلى أكتافها قد حفر الجلاذ صخر

تنساب عناصر الذكرى في ذهن الشاعر فينبعث الطهر والصفاء ، وتتألق وجدانيات
خمار في مختلف دواوينه ، وقصيدة سر العيون تعكس حس فنان لا تهده مدافع ولا
نبال، ولكنه يلقي كل سلاح أمام الجمال فيقول: (4)

لحسنك أسلمت قلبي وروحي

فإن شئت أسلمت روعي إليك

وكوني جحيما يؤجج قربي

عيون الصبليا سهام منايا... وورد تفتح في اللانهاية

التجربة نقلت جانبا من صورة واقع وطني بلغة الفنان لا بلغة المؤرخ وعالم
الاجتماع كما عكست توقا وجدانيا في إحساس الشاعر، تكامل فيه حب الأرض
والوطن مع حب المرأة (5)

(1) المرجع السابق ، ص 89

(2) المرجع نفسه ، ص 89

(3) المرجع نفسه ، ص 89

(4) المرجع نفسه ، ص 91

(5) ينظر المرجع نفسه ، ص 91

الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث ظهر " بدافع من مؤثرات متداخلة متشابكة ... وهو وإن ظهر ضعيفا خافتا لاقتصاره على بعض الشعراء القلائل في العشرينات والثلاثينات ... فإنه ما لبث أن قوى واشتد ، وانتشر مع ظهور شعراء آخرين في الأربعينيات والخمسينيات " (1) وفي خضم انتشار هذا الاتجاه ظهر نقاد وأدباء وجهوا الشعراء إلى أدب يعتمد الصدق الفني والتعبير عن المشاعر والأحاسيس أساسا ، ومن بينهم محمد البشير العلوي * وأحمد رضا حوحو

" فتطورت نظرة الشعراء وظهر شعر كثير نتيجة الاتجاه الوجداني يمثل بصفه خاصة عبد الله شريط ، الطاهر بوشوشي ، محمد الأخضر السائحي " (2) ويمكن

" أن نفرق في هذا الاتجاه بين العواطف الإنسانية العامة التي لا يكاد يخلو منها أدب إنساني في أي عصر من العصور والعاطفية التي تمثل موقفا خاصا من الحياة والطبيعة والمجتمع " (3)

والشعراء الجزائريون لا يختلفون عن بقية الأدباء والشعراء في الوطن العربي الذين اقتصر أخذهم بهذا المذهب على نقطتين أساسيتين وهما " مقاومة الأدب التقليدي والدعوة إلى الرجوع إلى ذات الأديب ، ووصف تجاربه الفردية والإنسانية في حدود ما شعر به أو ما يشعر به ، أو ما يصل إليه تفكيره ، دون اللجوء إلى الثقافة التقليدية ، التي تجعل منه صدى لمشاعر وصور وأراء بليت وطال بها

العهد " (4) ولا يخفي على أحد أن الإنتاج الذي كتب خلال الثورة التحريرية ، غلب عليه الاتجاه الوجداني ، إذ صاغه شعراء معروفين برهافة الحس ، ورقة الطبع نذكر منهم أبا القاسم سعد الله ، والسائحي كما ظهر عند شعراء الاستقلال ، محمد بن رقطان ومصطفى الغماري ومبروكة بوساحة ، وجمال الطاهري وغيرهم (5)

مما سبق نستطيع القول أن الأدباء والشعراء الجزائريين " ابتداء من رمضان حمود وانتهاء بأحمد رضا حوحو في سنة 1984 م مرورا بمبارك جلواح وعبد الله

(1) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص124

* أديب مرهف الإحساس ، رقيق الأسلوب ، يكاد يكون متخصصا في وصف الطبيعة

(2) محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث ، ص142

(3) عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت 1978 ، ص 06

(4) غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، دار العودة بيروت ، ط6 ، 1982 ، ص 246

(5) ينظر محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص143

شريط " (1) قد ساعدوا على تطور الشعر الجزائري وكانت لهم نتائج باهرة و خطى جريئة هادفة ، عبروا من خلالها عن مشاعرهم وأحاسيسهم وحاولوا من خلال النماذج تحقيق الغاية والوصول إلى الهدف .

(1) المرجع السابق ، ص 144

3- تجليات الوجدانية في شعر الربيع بوشامة

توطئة

يتعلق الشعراء بأسرار الحياة ، فيسمو شعرهم إلى معالم بعيدة ، متخلصين من ثقل الحياة ، وهم في تحليلهم هذا يبوحون بأسرارهم وآلامهم وينفثون همومهم ويسقطون معاناتهم على الطبيعة برومانسية حاملة ساحرة ، مبعثها جمال نفوسهم وجمال طبيعة الجزائر مما يجعل الصورة الحاملة تتلاحق وتتتابع في إيقاع تخيلي وكأن الشاعر راهب في مبعده يلتوا صلوات التوبة والغفران (1)

والشاعر الجزائري لم يختار هذا الاتجاه عن تقليد أو انبهار ، وإنما وجد فيه ما يلائم معاناته اليومية وما يشعر به من توترات نفسية ، كانت في حد ذاتها دافعة له للاستصراخ ، والثورة والتعبير عن إرادة قوية في التغيير (2)

ولعل جنوح الربيع بوشامة إلى هذا النوع من الشعر ما هو إلا " استجابة تلقائية للمشاعر النفسية التي يشعر بها ... تحت ضغط واقع سيئ مرير ، فرضته عوامل مختلفة متعددة أبرزها الاستعمار والتخلف " (3) فعبر عن ذاته وخواطره وشكى آلام نفسه ، كما حمل معاناة شعبه وهموم وطنه العربي والإسلامي ، فما مدى انسحاب الوجدانية على شعر الربيع بوشامة ، وكيف تجلت أشكالها في ديوانه ؟

إذا تأملنا ديوان الشاعر نستطيع تعيين بعض أشكال الوجدانية فيه وحصرها في الصور التالية : أ- رثاء الشهداء وتعظيم الأموات

ب- الذاتية والهروب للطبيعة

ج- الشوق والحنين

د- التعبير عن الجماعة

هـ - الأناشيد

وسيتيم الوقوف على هذه الأشكال بصورة منفردة، لإبراز وجدانية الشاعر، وتأييد ذلك بنماذج من ديوانه بقدر ما تمكنت من ذلك.

(1) ينظر ، محمد زغينة ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 09

(2) ينظر محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 145

(3) المرجع نفسه ، ص 124

أ- رثاء الشهداء وتعظيم الأموات

لعل النظرة الأولى على القصائد الموزعة في ديوان الشاعر تبين أن له قصائد كثيرة في غرض الرثاء، وهي من صميم الشعر الوطني الثوري وذلك لسببين:

الأول: لأن ذلك الشعر الرثائي يتناول شهداء قضوا نحبتهم ضحية للوطن وثمانية للحرية

الثاني: لأن حديث الشاعر عن الأموات في هذا الشعر، وعاطفته نحوهم يختلفان تمام الاختلاف عن حديث الرثاء التقليدي، إذ ينظر إلى من يرثيهم على أنهم خالدون لم يموتوا.

ومن خلال الديوان يمكن أن نرى مدى إحساسه بالموت ، وسرعة استجابته له إذ نجده قد رثى أقرب أقربائه ، كأبيه وابنه ، ورثى أصدقائه كما رثى شهداء حوادث الثامن ماي 1945م ، ورثى شهداء العلم الشيخ عبد الحميد بن باديس في عدة مناسبات ، ورثى شهداء ثورة التحرير الوطني وعظم ضحاياها ، بل رثى الشعب الجزائري برمته من خلال قصيدة لمن الجسم عالقا بالصخور (1)

بنبرة الحزن والألم رثى الشاعر الشهيد والده وعبر بصدق عم ضج به وجدانه فكتب في رزية فقدانه قصيدته حي الأبوة التي أرسل من خلالها أصدق المشاعر لأعز الناس يقول: (2)

يا راحلا طوت الجناات مهجته	وغاب عنا كنجم في أعاليها
لو فادت النفس نفسا في هدى قدر	إنني لعمر الوفاء بالروح فاديها
ماذا تفكر عن ابن بات في كرب	من هول فقدك ما يفتأ يعانيها
قل للمفكر في دنيا مباحثه	إن الأبوة إذ عان لواعيها

أضحى الشاعر مكلوم الفؤاد ، أحرقتة لوعة فراق والده فاكتوى بنارين فقدان والده الحقيقي ووالده الروحي الإمام عبد الحميد بن باديس إذ زخر ديوانه بجملة من

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 49

(2) المصدر نفسه ، ص 140

القصائد * عدد فيها مآثر الفقيد وأعماله الجليلة ودوره الفعال في جمعية

العلماء المسلمين ، وعنه يقول: (1)

فزت بالخلد في حمى الرضوان يا ابن باديس يا فتى الأوطان
إيه عبد الحميد رحت من الدنيا مسعد الروح مكروم الجثمان
وتركت الإسلام والعرب والضاد جميعا تصلى لظى الفقدان

فالشاعر لا ينظر إلى المعظم كفرد، وإنما كبطل وعالم من علماء الله بل كركن من

أركان الإصلاح، تتذكره الأمة كل حين فيقول: (2)

من لهذا الحمى الجريح المشقى في لظى، من للشيب و الشباب
من لأيماننا العزيزة في التاريخ ويجلو عنها صدى النسيان

يبدو أن الشاعر يعظم " الأموات ، ويذكر صفاتهم ، صفات كبر النفس ، والتفاني
في العمل ، والتسامي عن التوافه والصدق والكمال ، ومن ذلك رثاء صديقه في
الدعوة والإرشاد الفضيل الورتلاني " (3) في قصيدة أيها الصقر المجلى في العلا (4)

وفضلا عن شهداء العلم رثى الربيع بوشامة شهداء الحديد والنار وكانت البداية من
مأساة الثامن ماي 1945 م ، التي أدرك الشعب من خلالها أن " الطرق التي كان
يتبعها للحصول على حقوقه المشروعة غير مجدية ، صدمة لم تكن في الحسبان
كان لها دوي في الميدان الأدبي " (5) فقال: (6)

سر على الدمع والدماء الغوالي يا شهيدا في ذمة المتعال
ويهنيك في المعارج -أملاك- السما بالمنى وخير المأل

* كقصيدة كبر النفس ، في عيد العلم ، علم النور ، فزت بالخلد ، روح الوفاء ، ذكرى بن باديس

(1) المصدر السابق ، ص 107 - 108

(2) المصدر نفسه ص ، 106

(3) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص41

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص114

(5) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص361

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص50

لك مثنوى الأبرار موصول نعمى فى حمى الله و البنى و اللآلى
واترك الجسم للحديد والنيران نهبا مبعثر الأوصال

والشاعر فى رثائه تسيطر عليه عاطفة هى مزيج من حزن الفراق ولوعته وشيء
من الغبطة والرضى ؛ لأن موت أولئك الشهداء إيجابى بالنسبة للوطن فهو تعجيل
للحرية وثمانى لها ، فىقول : (1)

القوه فى الأغلال نضوا صاديا وإستيق بين الجند للإعدام
الله فى أهل كرام صرعو فى لحظة - دركا- بلا إجرام

ويقول أيضا: (2)

إن دما حرا يهوان اعتداء لجدير بالعز و الإجلال
سوف يعلو- تاجا - على مفرق الدهر ويغدو أسا لأعلى منال

وعلى الراجح أنه ليس فى موت الأبطال ما يوحى بالأسى والتضعع أو الضعف
بل فيه كل معانى البطولة والقوة والتحدى ؛ لأن حياة الوطن وازدهاره تنبعث من
موت الأبطال الذين يستقبلون الموت بثغر هادئ فىقول: (3)

حي ذاك الصريع فى الميدان باسم الثغر هادئ الوجدان
يرفع الطرف للسماء شكورا نعمة الموت عن حمى الأوطان
والدماء الحمراء تدفق نورا وحية مشوبة الألوان

عظم الربيع بوشامة شهداء الأبطال الذين يحترقون ليضىء وطنهم ويشقون ليهناً
فردد: (4)

يا شهيد الأوطان حسبك مجدا أن تكون القربان للتحريير
وتسن الفدا لكل همام عبقرى الأعمال حر الضمير

ومن " خصائص بنية محتوى قصائده تكريس المقاومة وتجاوز الصعوبات وتغليب

(1) المصدر السابق ، ص 58

(2) المصدر نفسه ، ص 51

(3) المصدر نفسه ، ص 54

(4) المصدر نفسه ، ص 206

الأمل على مسيرة الكفاح المسلح نرى ذلك في مراثيه للشهداء التي يسمو فيها البطل فيقرر تجاوز الإنسان المكافح الصامد للموت العادي وهكذا يرتفع إلى مرتبة عالية حين يفلت من أيدي الطغاة ويسمو على المادة " (1) ويصبح روحا خالدة يقول الشاعر: (2)

ألقى بجسم سعى في كل صالحه حتى خبا فاستوى بالأرض آثارا
وطار بالنفس من دنيا منافعها يجوب في عالم الأرواح أقطارا
ويلتقي بفيوض في مدارجه ويجتلي من خبايا الغيب أسرارا
أوى إلى الله إذ أدى أمانته واختار جنات رضوان له دارا

وكما يبدو فإن قصائده تنضح بالتحدي الصارخ لقوى الظلم والطغيان فهي تطفح بالوجدانية ، التي تبثها نغمته المكدرة المؤلمة التي تملأ النفس كمدا ، ورغم ذلك يرسل نغمة الأمل والتفاؤل حين يجعل الموت طريقا إلى الحياة الكريمة ، يقدم فيها الشهداء دروسا ، حين يسرعون إلى ساحات الشرف بدافع حب الوطن الذي يعز عليهم أن يروه منتهك الحرمات ، منكس العلم في دنيا تشرق فيها شمس الحرية على دنيا العالمين فكتب الشاعر مبعث النور خلود الشهيد : (3)

مبعث النور في ذرا الأوطان حسبك الله نم بكل أمان
طالما عشت في الحياة دؤوبا مرهق الروح ذائب الجثمان
تحرق الدم والفؤاد لتحيا شعبك الحر في العلا والأمان

جعل الشاعر من رثاء الشهداء وتعظيم الأموات دعوة جهادية في سبيل تحرير الجزائر ببذل الروح في سبيل إنقاذ هذه الأمة من نفسها ومن أعدائها ، وهذا لن يكون إلا بالدماء والدموع والجهاد .

(1) حواس بري ، شعر مفدي ، ص 96

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 109

(3) المصدر نفسه ، ص 219

ب- الذاتية والهروب للطبيعة

أحس الشاعر بثقل مأساة البلاد ، فترأى له ضياع أمسه وتلاشي غده فكانت له تأملاته الذاتية الشعرية ، إذ " يغوص في أعماقه فيتأمل نفسه وما يحيط به محاولاً إيجاد حلول لمشكلته ، فلا يستطيع ، فتقطع خيوط الأمل والرجاء ، وتلفه المأساة فتختلط عليه التصورات ، وتتزاحم مظاهر الواقع عليه " (1) فتنساب وجدانياته ليفصح: (2)

إنني مما أقاسي مشفق أخشى المزيد

ليت شعري ما وراء الستر من أمر رصيد

عبر الشاعر بصدق عما ضج به وجدانه في لحظات اليأس والضيق فكانت هذه " الأشعار وساوس وهواجس مثالية " (3) ؛ لأن الذات الداخلية مستيقظة تنشط في الليل وفي أوقات السكينة ، فاستقى من الطبيعة والكون والحياة مشاهد الحزن والفرح فقد كان يرى " في الطبيعة مصدر عزاء وسلوى ، وينبوع إلهام ووحى وحصناً منيعاً يهرع إليه عند الشدة وذلك هو موقفه منها والذي بقي متأرجحاً بين الاقتراب منها ، أو الوقوف خارج أبوابها " (4) فراح يبحث عن لحظات النور النائي ساكباً من وجدانه وأشجانه المشحونة بالهفة والغربة فقال: (5)

هات من غرك العذب أفانيــــن جمال لمغرم مستكينــــن

من معانيك الغر أو من فيوض الله في النفس كنت نور العيون

قد جفته الأيام أو قد جفاهاــــ بعناد واسترسلت في الفتون

يظهر أن هذه المعاناة موقف إنساني عميق الدلالات من حيث الظلم والجبروت

لذا توحد الشاعر مع الطبيعة وراح يشكو إليها همومه وهموم الإنسان الحديث

(1) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص27

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص156

(3) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص28

(4) الشريف مربيبي ، عبد الكريم العقون ، شاعرا ، ص148

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 131، 132، 133

إنسان القوة والظلم والاستعلاء، إنسان الاستعمار الجديد.

وجد الشاعر " نفسه في هذا الخضم الكوني الهائل وكأنه آلة من آلاته تعمل بروح صناعية لا تقيم وزناً لغير المادة والأرقام ، فكاد أن ينسى نفسه ، وإنسانيته في مجاهل هذه المادة الآخذة بناصية كل شيء " (1) فهو محكوم عليه دنيا ودينا ، شكى هول فاجعته حين قال : (2)

مهلا - خليلي- فما الأيام خاضعة	لما أريد، ولا الأحلام تدنيني
آمالك الغر رهن في يد قـدر	يديرها وفق سر جد مكنون
تجري عليك الأمور لا مرد لها ،	برغم أنفك في الدنيا وفي الدين
لا شيء تملكه منها سوى أـلم	وحسرة تنتزى نزو مجنون

الشاعر من الذين " هاموا بالطبيعة والوطن ... وعبروا وطنيا وذاتيا عن طموحات كابية وانكسارات حادة " (3) فتوسل الربيع راجيا أن يزيج هموم أمته فغدا شعره يلامس الواقع الجزائري ، ويرتقي من فيافي النفس إلى أفياء السماء ؛ لأنه يبحث عن الحرية المفقودة ، ويرنو إلى المستقبل بنفس قلقة ، كاشفا ما يعتلج في روحه فتوشجت أشعاره التأملية بألوان الواقع ، وسواد الجريمة ، فكانت هذه القصائد أضواء نابغة من ذاته ومراة عاكسة لواقعه (4) فيقول مخاطبا الربيع: (5)

هبك خيمت فمن أين نرى	وجهك النضر ، وقد عم النجيع
واغتدت أرض الحمى مقبر	لبني الإسلام والضاد الفجيع
واكتسى الكون حدادا مفزعا	وانطوى الجو على حزن وجيع
أنظر الأرضين والسبع العلي	هل ترى فيها سوى سخط ذريع
واستياء بالغ مستمطر	لعنة الله على العسف الرفيع

(1) مفيد محمد ، قميحة ، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1 ، 1981 ، ص 35

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 40

(3) عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ص 85

(4) ينظر محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 23

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 228

في هذه الأجواء القاتمة ، كانت الخواطر تنتال على الشاعر ، فجاء تصريحه لون من ألوان البوح ؛ لأنه أحس بوحده وغربته في هذا العالم المتلاطم بالمظالم المتأجج بالشرور

يندمج الشاعر بالكون ليعبر عن قلقه وجبروته وعجزه بل جعل الشعر معادلا موضوعيا ليرتقي بواسطته إلى قمة الصراع النفسي الفكري، الذي يعتري الإنسان حين يحس بمأساة نفسه... فإذا للشعر أسرار عجيبة لا يتاح لكل إنسان أن ينفذ إليها وإذا الحياة لغز بين راحل وآت (1)

إن معظم الصور الوجدانية الواردة في ديوان الشاعر ما هي إلا نقل "لذهول العالم الداخلي وروحانيته ولا محدوديته ، بوسائل العالم الخارجي المحدودة " (2) وإلا ما عاد إلى صباه وإلى الطبيعة ولا ما شدته مظاهر الحزن الخارجي ، ولا ما وجدناه " يشم العبير المنتشر في تلك الخمائل الضاحكة ، ويصغى إلى أغاديير الطيور الشجية " (3) فالشاعر أحس بالرغبة في العودة لذلك تحدث عن البراءة والطفولة في قصيدته حمى قنزات : (4)

فيك ربيت واكتملت سويا وتنسمت أول النسمات
وتذوقت طعم أنس ونعم واجتنيبت المنى من الطيبات

يظهر أن الشاعر أحس بالغربة حتى في لحظات الهروب إلى الطفولة والذكريات وعالم الأحلام، أحس بفداحة النكبة فكان الانفعال يسوقه، والحزن يسربله، فإذا أشعاره توسلات حزينة، لا نراه إلا متحسرا نافثا آلامه كمن ضاعت أحلامه فيقول: (5)

يا جمال الكون إني مولع بك لولا ذكر توحى الكرب

(1) ينظر محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص13

(2) إيليا الحاوي ، خليل مطران ، شاعر القطرين ، دار الكتاب اللبناني ج ، ط1 سنة 1978 ، ص 27

(3) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص387

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص144

(5) المصدر نفسه، ص 56 – 57

كلما اشتقت إلى حسن صفا
نادت الروح ، رويدا إنه
وجمال طاهر غض الأهب
بين قضبان سجين مكتئب
ونعيم بين أيـدنا غصب
مغريات ويلقى فيه اللهب
كم زهور غضة فاتنة
أحس الشاعر بوطأة الذل وظلام الحياة ، فكانت قصائده ذات أبعاد نفسية ذاتية
و سرحات روحية في مآتم الحرية

ويبدو أن هذه " الأشعار خواطر ولواعج ، وصور من الحياة ، وما أكثر صور
الحياة بتناقضاتها وبخاصة حين تكون صدى لذواتنا السجينة ، فهي تمنحنا القوة
الإبداعية" (1)

لون الألم والعذاب قصائد الشاعر فتحس " وأنت تقرأ شعره بالمحنة الكبرى التي
عاشها هؤلاء الشعراء ، إذ تتشابك الأسباب وتختلط المقاييس فيبحون بالأمهم
ومعاناتهم بكل عفوية ويسر وسيولة " (2) فنجدته يقول: (3)

ليت لي مثل الأناسي
أبصر الأشياء طرا
بصرا جديدا
من قريب أو بعيد
إنني بالرغم مني
قاصر العين جهيد
متعب محروم نفس
من كثير لي مفيد
كم أعاني في بلائي
من مرارات تبيد
لو أصابت قلب صخر
ذاب حيناً كالجليد

يتضح من النماذج السابقة أن الشاعر عبر عن انكسارات نفسه ، وهام في الطبيعة
بحثاً عن أمل يزيح به ثقل المأساة التي عاشها ورحل بين ثناياها ، فجنح بخياله بعيداً
ليجود لنا بهذه النماذج .

(1) محمد زغبنة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 19

(2) المرجع نفسه ، ص 27

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 155

ج - الشوق والحنين

لا يستطيع أي إنسان أن يعيش في آن واحد في مكانين و زمانين مختلفين ، ومن هنا فهو دائم التشوق ، يعيش هنا ويحن إلى هناك . يعيش في الحاضر ويتشوق ويحن إلى الماضي ، ويأمل في المستقبل (1) ، وإذا كان هذا الإنسان شاعر مختلج القلب يحيا حياة الاضطهاد والعبودية ، فإنه يحس بيقظة الأسى فتزداد تجربته عمقا ، ليحن إلى الوطن والأهل ، إلى والزوجة والأولاد والأصحاب وإلى كل ما يحيط به من أنهار وجبال وبساتين ، ويحن إلى العالم العربي الإسلامي وإلى قيام الدولة الإسلامية على أرض الجزائر .

كانت المرأة مصدر صدق العاطفة وسموها ، خاصة إذا كانت زوجة ، فهي ذلك السكن الروحي والأمن النفسي تجعل الشاعر ينساح " في عالم الأشواق ومحراب الآلام ليكشف عن المرأة التي يفيض منها الحب ، إنها المرأة " (2) التي يحترق حين يبتعد عنها وتتعذب نفسه حين يتذكر بعدها فنراه يقول في هذه النجوى العاطفية : (3)

منية النفس رحمة بحياتيــــــــــــــــي
إنني إلفك البريء المواتي
منذ أبصرت شخصك الحر عادت
رائعات الأحلام والذكريات

وينادي الشاعر رفيقة دربه متسائلا عن حالها كيف أضحت بعد الفراق محولا ما يختلج في نفسه إلى " صور موحية باستخدام المدركات الحسية البصرية... والذوقية وغيرها " (4) فتندفق مشاعره ليقول: (5)

زوجتي كيف أنتم والقراية
يا حبيباً أفدى بعمرى شبابيه
إن قلبي لخافق ومشوق
لنحوكم دائما يوالي اضطرابه
أنت لي جنة النعيم وقلبي
فيك يلقي ربيعته وشرابه
كلما غاب عنك زاد هياما
بك وأشتاق أن تحوطي جنبه

(1) ينظر ، محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص48

(2) المرجع نفسه ، ص50

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص127

(4) محمد زغول سلام ، النقد الأدبي الحديث (اصوله واتجاهاته ورواده) نشأة المعارف بالأسكنديرية ، د ط ، د ت ، ص130

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص210

وتمنى لو كان طير ضياء في ثوان يدني إليك مآبه

أشواق الشاعر ماهي إلا محاولة داخلية لتجاوز الغربة المكانية التي يعيشها فضلا
عن هذا فهو في بعده يستحضر طيف الحبيبة فيهيح قلبه ويفيض دمه فلا يملك إلا
أن يقول : (1)

وأيقظت العواطف من رقاد	رأيتك في المنام فهجت قلبي
من الأنس المعسل والوداد	وأوحى لي خيالك كل شيء
على حب تنور في الفؤاد	فبتنا بالخيال طوال الليل
على حال تؤثر في الجمد	بدالي طيفك الأعلى قريبا
بوجدان وأنت على البعاد	فيا لك زهرة أشعلت نارا

هذه الأشواق الملتهبة تجعل من الطبيعة مادة لها ، تأملا وتفكرا فإذا الحبيبة " من
روح أثري كلها تألفت فيها الطبيعة وأوفت إلى غايتها الكلية ، فتون الطبيعة
متجسدة فيها بل إنها ملاك الوجود ، تبعد الشاعر عن الغربة والوحدة وتعيده إلى
فردوس السعادة " (2) فإذا هي رمز لكل شيء جميل في هذه الحياة فنجدته يقول: (3)

سر دنيائي أنت روح الجمال	فيك لي نزهة ومرعى خيالي
من رب السماء معنك في الكون	فنونا وحاطه بالجلال
كل شيء يوريك في السر حتي	منظر الشوك والصفاء والخلال
أنت فيض ملائكي لطيف	منك أهنا غذا وخير نوال
أنت دنيائي فيك متعة روحي	أنت مرعائي في جميع المجالي

بهذه العذوبة و السلاسة يروح الشاعر " يترسم مثالية الحب من خلال الطبيعة
المثالية الشفافة ، كاسيا الحب والطبيعة كليهما من أوهامه وأحلامه ، وكأنه يصور
أمانيه في واقع الأشياء حين يتم له التحرر ، ويرجع إلى فردوس النشوة والعاطفة

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص128

(2) إلينا الحاوي ، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ، ص 159 ، 160

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص124 ، 125

الذي افتقده وما زال يتحرى عنه " (1) فاهتز قائلاً: (2)

وتبينت أنني - فجأة - رحلت
أسيراً في قبضة الصبوات
شارد القلب من ورائك مشبوب
الحشيا لآلام والزفرات
دمت يا حب مسعداً ذا فنون
وفیوض من أروع الآيات

يبدو أن شعره وجداني انفعالي ، أما ط اللثام - في قصائده - عن روحه الحزينة
ونفسه المتألّمة وقلبه المحطم ، فعاش حياة خوف ووجل ، راجياً رحمة الله ليعود
إلى حياة الحرية ، فأنشد: (3)

لست أدري ما حال أمي
وأبنائي وزوجي وكل أهل والقرابة
أسأل الله أن يصون حماكم
وينيل الشعب المهان رغبه
رب أنا نرجوك لطفاً ورحمى
بضعاف ملوا حياة الذبابه
يبعث الشاعر بأشواقه وأمنيّاته إلى زوجته طالبا منها أن تحرره من ربقة القيود
فيقول: (4)

تبتغيك النفوس في كل أن
بأشتياق ولهفة وابتهاال
وأمني صدق الأماني قلباً
طلبا. هام خلف حلم وآل

وجدانية الربيع بوشامة " جعلته يرتاح إلى جمال المرأة كما يرتاح إلى جمال
الطبيعة ، فالمرأة عنده تلتقي مع الطبيعة في كونها ساحرة ، وملهمة وينبوع أمل
ومصدر اطمئنان ... إنها نظرة روحية تسمو على النزعات المادية ، فيها الكثير من
شفافية الفنان وإنسانية الشاعر " (5) إنه يمزج بين جمال المرأة وجمال الطبيعة لينحو
نحو ساميا وجدانيا بعيداً عن التصورات المادية .

جعل الشاعر من أشواقه وحنينه مسرى لعواطفه فصدر شعره " صدوراً طبيعياً كما

(1) إيليا الحاوي ، الرمانسية في الشعر الغربي والعربي ، ص190

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص127

(3) المصدر نفسه ، ص211

(4) المصدر نفسه ، ص124، 125

(5) الشريف مربي ، عبد الكريم العقون شاعراً ، ص148

يصدر الضوء عن الشمس ، وكما يصدر العبير عن الزهرة ، وكما تنير الروضة
في نفسك ما تثير من الشعور الجميل " (1)

أباح الشاعر بأشواقه الداخلية في عذوبة وسلاسة ، فكانت مطية للحديث عن نوع
آخر من الحنين هو شوقه لصبيته ؛ لأن الحنين إلى الأبناء فطرة سامية بثها الله
سبحانه وتعالى في كافة المخلوقات فما بالك وهو شاعر مرهف الإحساس ، اشتدت
عليه الهواجس

سال شعور الربيع بوشامة حرارة وحرقة عاتية على الصغار الذين لم يشبع من
طفولتهم بعد ، ولم ينعموا بحماه الحنون (2) فيبوح : (3)

ما بناتي وما أخوهن " توفيق " رعى الله عهدهم وأطابه
غبت عنكم ولست أعلم ما ذا نالكم من مسرى أو كآبة

يصوغ الشاعر إحساسه الأبوي ، الذي عاشه كل من عرف محن الأيام في ثورتنا
المباركة التي اكتوى بها الكبير والصغير ، فيسيل شعوره حرارة وحرقة ليفضي
بخوفه خشيته على أطفاله فيقول : (4)

إن قلبي لخافق ومشقوق لنحوكم دائماً يوالى اضطرابه
وهو يخشى من كل شيء عليكم ويقاسي في حاله كل صابه
ويرى كلما تفكر فيكم بدوات تطير عنه صوابه
ولعل الأقدار تحنو عليكم وتريكم خيرا وحسن إجابته

ولأن الأبناء هبة الرحمن للأباء ، هم رمز الحياة والتواصل تمنى أن تكون لهم

(1) محمد زغينة ، من شهداء الثورة التحريرية ، ص92

(2) ينظر محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين ، ص55 نقلا عن أحمد مختار البزرة ، الأسر والسجن في شعر العرب ،
ص 111 ، 112

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص210

(4) المصدر نفسه ، ص 210

أفضل حياة فيقول: (1)

ورعتك الأقدار في روض يمن زهرا جم نضرة واهتزاز
قرة العين ، نعمة ، ومتاع لفؤاد الآبا حمى الاعزاز
بهذا البوح العاطفي الشجي يبث الشاعر ألامه وأحزانه باحثا عمن يحمل عنه أثقال
نفسه ، لذلك يهتز باثا عواطفه السامية : (2)

من كا الطفولة في معانيها العلا وجمالها في النفس والأنظار
لأشياء أحلى وأحب من الصبا في هذه الدنيا وعند الباري
لله ما أحلى تسابيح الصبا تنساب كالصلوات في الأسحار
أو كالأمانى الغر تأتي فجأة بالمعجزات ليأئس منها رار
فهذا الزخم من الصور الوجدانية التي يضيفها الشاعر على صبيته تعود إلى ذلك
التوهج النفسي العاطفي ؛ لأن الاعتداد بالأبناء غريزة فطرية ، فهذه الصور
الحالمة والمشاعر الحنونة ، تكشف حبه لأبنائه ومدى تعلقه بهم فيردد: (3)

وغدا اسمك المحبوب في أفواهنا أشهى من العسل المصفى الهانيء
بسماتك العز العذاب أحب لي من كل عذب ساحر فتان
نبراتك الصغرى أرقى بمسمعي من أعذب النغمات والألحان
وجميع ما تأتبه أو تبدو له نعمى ترف لها قوى الوجدان
وعلى العموم فإن الحنين إلى الأبناء فطرة إنسانية لامفر منها وهي سمة من سمات
شعر الربيع بوشامة .

وكما صور الشاعر شوقه لزوجته وبنيه ، كتب عن شوقه وحنينه لوطنه " لأن

(1) المصدر السابق ، ص 242

(2) المصدر نفسه ، ص 168

(3) المصدر نفسه ، ص 152

الوطن يمثل صلة الإنسان بالحياة والأهل والأحباب والذكريات الخوالي " (1)

عاش الشاعر مؤرقا بوطنه متشوقا إليه، حيث تكشف قصائده عن هجمة الحنين الغالبة عنده، المتعلقة بالهموم الممزوجة بالآلام، وحب العودة إلى الوطن

فيقول: (2)

كلما اشتقت إلى حسن صفا وجمال طاهر غض الأهب

أبتغي لقياه موصول الخطى هائما في كل وجه للطلب

ذكر الشاعر أماكن وطنه من قرى ، وجبال وأنهار فهو " يعرج على مواقع الذكريات في طول الجزائر وعرضها ، وينتشي بها وقد أصبحت مسرحا للبطولات يطوف بها طوفان المجنون على مرابع ليلي " (3) ومن ذلك هذه الصورة التي يرسمها انطلاقا من ذكرياته فيقول : (4)

فيك ربيت و اكتملت سويا وتنسمت أول النسمات

فهذه السرحات الخيالية ، تعبر عن شوق الشاعر إلى مسقط رأسه ، كما تبرز معاناته ولذلك نرى مثل هذه الأشعار تتماوج فيها أنفاس الشاعر وتتجاوب فيها الأصدا ، فيضفي على أرضه سمة من سمات الجمال حين يقول : (5)

في سهول أجريت أنهارها ورياض حاليات بالخضب

وجبال بازخات كللت رأسها الغاب وتيجان السحب

يبدو أن هذه الأشعار تكشف عن الروح الوطنية الصادقة عند الشاعر ، تلك الروح المكتوية بنار البعد عن الوطن ، مما زاد من تعلق الشاعر بوطنه ، فأضحى شوقه

(1) محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص61

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص56

(3) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص265

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص144- 145

(5) المصدر نفسه ، ص56

لوطنه ما هو إلا شوقاً للحرية المفقودة في هذا الوطن الحبيب فيقول : (1)

لايوم للشعب الأبى أعز من يوم الخلاص ورؤية الأضواء

ويقول : (2)

وخذ والحرية الحمرا لها وارفعوها فوق هام الشهداء

حاول الشاعر بث أشواقه إلى وطنه بكل صدق وحرارة، وتململ بين الأسى والحزن يعدوه في ذلك الأمل والرجاء.

.....
(1) المصدر السابق ، ص 96

(2) المصدر نفسه ، ص 75

د- التعبير عن الجماعة (النزعة القومية)

لم يكن الشاعر الجزائري ، بمعزل عما يجري في أوساط الأمة العربية من محن ، فوقف يسجل ما ألم بها من أحداث ، يفرح لأفراحها ويتألم لآلامها ، " فكيف ينسى الجزائري العروبة وهو عربي لحما ودما وروحا " (1) ، فتجاوز الشاعر عروبة الجزائر للحديث عن الوطن الأكبر والتلاحم مع قضاياها وأحداثه ، فبرهن عن وجه آخر من العروبة الصميمة .

ولعل قضية فلسطين تأتي في مقدمة ما تناول الربيع بوشامة ، فما يربط فلسطين بالجزائر هو امتداد حضاري ، ضارب بجذوره في أعماق التاريخ " من هنا كان إحساس الشعب الجزائري بقضية فلسطين إحساسا حادا وعميقا ، وكان شعور كتاب الجزائر وأدباءها أكثر حدة وشعورا بهذه القضية باعتبارهم لسان الشعب والمعبر عن مشاعره وأفكاره (2)

تحتل فلسطين مكانة في قلب كل عربي مسلم وتشغل حيزا من تفكيره ، فظلت الأنظار تتوجه إليها ، والأعناق تشرب نحوها ، فنلمس في شعر الربيع بوشامة قلقا على الأوضاع العربية المتردية ، والتي كانت السبب في ضياع فلسطين ، فهزت الأحداث أعماق الشاعر لتجود قريحته بأروع القصائد التي تموج بألوان الوجدانية فقال: (3)

طبيبي فلسطين الأبية واسلمي وطننا له يعنوا الزمان ويطرق
اليعربيون الأباة توابثوا من كل فج للوغى وتدفقوا

يثير الشاعر النخوة في نفوس العرب إذ " يشيد بخصال العرب وشجاعتهم، وبروح النجدة المتأصلة فيهم ، وأن العرب لن يتوانوا في الوقوف إلى جانبها ضد الصهاينة وأسلوب الشاعر هنا يتمشى مع نداء الحروب الذي رن في أرجاء الوطن العربي بما فيه من حماس وإنشاد وقوة في التعبير و الإيقاع " (4) فيدعوا العرب لاسترداد

(1) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري الحديث ، ص73

(2) ينظر عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص42

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص53

(4) عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص61

فلسطين قائلًا: (1)

لصون الدمار وفك البلاد	تقدم بحزم قوي الفؤاد
تنادي الجهاد، الجهاد، الجهاد	فلسطين أرض الهدى والمعاد
ولاق المنايا سباح الفداء	فتى العرب هيا فلبى النداء

تعد قصيدة الشاعر صرخة "مدوية للشباب ضد أعداء فلسطين، وهي في الواقع نشيد حماسي تكرر فيه كلمة الجهاد" (2) لقد أذاب الهم جوانحه واحترقت نفسه ألما كلما تذكر فلسطين، فلا يملك إلا أن يقول: (3)

اصطلى ناره ومالي عـزاء	في الحشا منك يا فلسطين داء
وهوان جهنم وشقــــــــــــــــاء	كل شيء مادمت في قيد عار
ما أتوا في الحمى ؟ رمته السماء	هل درى خائن وذل مهين

لم تبرح فلسطين خواطر الشاعر وأحلامه ، فجسدها بين الحين والآخر في أشعاره
كما فعل في قصيدته حي " ذاك الصريع " التي أهداها إلى روح البطل الفلسطيني
الشهيد عبد القادر الحسيني، وإلى كل جندي عربي مجهول استشهد في حمى الله
والوطن في رسم لنا مطلعها صورة الشهيد الذي يفارق الحياة والبسمة تعلو شفتيه
وقلبه ثابت على الإيمان والتضحية قائلاً: (4)

حي ذاك الصريع في الميدان	باسم الثغر هادئ الوجـدان
يرفع الطرف للسماء شكورا	نعمة الموت عن حمى الأوطان
والدماء الحمراء تدفق نورا	وحياة مشبوثة الأُلـوان
تبعث الروح في البلاد وتذكي	سر مجد في الشيب والشبان

اتخذ الشاعر شهادة البطل منبرا ليعث روح الحماسة والنضال في صفوف الأمة
ويكفكف دمعها فحث " العرب على مساعدة عرب فلسطين الذين يذوقون مرارة

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 177

(2) عبد الله ركيبي ، قضايا الشعر الجزائري المعاصر ، ص (65 - 66)

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص239

(4) المصدر نفسه ، ص 54

العذاب من طرف اليهود " (1) كما يدعو فلسطين إلى الصبر ، فإن فقدت بطلا فهي قادرة على إنجاب الكثيرين من أمثاله فيقول: (2)

يا فلسطين يا حمى الله صبرا للمقادير في إبنك المحاسن
وإحتسابا عند الآله جميع الثا ثرين الصرعى بكل مكان
قد عهدناك مستميتا صبوراً للعوادي تغزوك في كل آن

شكل الشاعر من فاجعة فلسطين لوحات شعرية جميلة ، كشف عنها وجدانه، إيمانا بمأساة هذا الوطن الجريح ، فجاءت قصائده صورة حقيقية لتلك المعاناة .
وكما أفاض الشاعر في حديثه – من خلال أشعاره – عن جرح فلسطين ، تحدث عما يحدث من حوله من أفراح وأفراح إذ " لم تكن حوادث الوطن العربي لتغيب عن الشاعر الجزائري حتى وهو في أحلك الظروف وأقسى الفترات ، ذلك لأن الشعب الجزائري لم ينفصل يوماً من الأيام عن الأمة العربية ، وانتمائه لبلاد الإسلام برغم ما فرضه الاستعمار من قيود وما عمل من محاولات المسخ " (3)
فكلما حلت مناسبة كان قلب الشاعر يطير إلى مكانها وعواطفه تفيض لتعيش أحداث العرس ، فيستقبل عيد استقلال ليبيا الشقيقة قائلاً : (4)

يا ابن الجزائر هذي ليبيا فديت من العذاب ونالت خير أوطار
وألقت النور للسايرين في ظلم وعلمت كل ناد سر أسرار
فامدد إليها يدا بالتهنئات وقم في عيدها باحتفالات وإكبار
شارك الشاعر اللبين عرسهم الكبير ، عرس استقلال أرض طهرتها الدماء الزكية فهو " عندما يرى أن ليبيا أصبحت هي والحرية وجهها لوجه يشعر بفخر من جهة والغيرة من جهة ثانية... فخر الشاعر بانتصار بلد عربي استطاع أن ينتزع حريته وينال استقلاله ، والغيرة التي تجعله ينظر إلى الجزائر التي مازالت تحت وطأة الاستعمار" (5)

(1) محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص75

(2) الربيع بوشامة ، الديولن ، ص54

(3) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص07

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص71

(5) أحمد دوغان ، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، ص63 – 64

يبدو أن قصائده تطفح بالإحساس المرهف ؛لأنه عاش قضايا بلاده فأحس

"بالفرحة تغمر نفسه حين تحررت بعض الأقطار العربية ،على الرغم من أنه كان يعاني عبودية المستعمر الفرنسي وأحس بهذه الفرحة ؛لأنه لا يفرق بين الحرية هنا وهناك ، ثم إن تحرير أي قطر عربي واستقلاله ، إنما كان خطوة لتحرير واستقلال بقية الأجزاء الأخرى " (1) لقد كان الشاعر "حالما...يرجو ويتمنى ويتصور " (2) فنشر أمانيه وآماله وحي ليبيا ليحي من خلالها جميع الدول حين يقول: (3)

حييت يا ليبيا السماء من وطن	معزز سيد الأنوار مغـــــــــوار
وعشت خفاقة الأعلام زاهرة	ترعاك روح الهدى في ذمة الباري
ويغتدي في اتحاد العرب خير قوى	تتنم جامعة من كل أقطــــــــار
فيعتلي في سماء العز طائرنا	عاتى الجناحين جبار القوى نارى

عكست قصائد الشاعر إحساسه العميق بالانتماء للأمة العربية حيث تبدو العروبة والإسلام محور تفكيره وانفعاله بالقضايا والأحداث ، هكذا عاش الشاعر مأساة ليبيا، وتآلم لجراحها فعبّر عن شوقه وإحساسه نحو جزء لا يتجزأ من هذا الوطن الكبير .

جعل الشاعر من استقلال ليبيا سببا لدعوة الشباب العربي إلى استكمال مسيرته النضالية ، لقد آمن بدور هذه الفئة في تخليص الأمة من أغلال الاستعمار ، فكانت قصائده نداءات صارخة يحث فيها الشباب على خوض النزال المسلح ضد المستعمر، والذود عن حمى العروبة والإسلام ، فكتب قصيدة ياشباب العرب هيا للعلـــــــــا: (4)

حي باسم الله إخوان الصفاء	وارع فيهم أبدا عهد الوفاء
وأعتز منهم بذكرى تحية	أهل فضل وطموح وزكاء
فتية المجد رعى الله بـدا	جمعتنا حول ود وصفاء

يستنهض الشاعر هم الشباب العربي لزرع التراب العربي حبا وعزا وسؤددا

(1) عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص114

(2) محمد زغينة ، شعر شهداء الثورة ، ص119

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص71

(4) المصدر نفسه ، ص74

بعد اجتثاث بذور الشقاء والفساد وذلك لا يتأتى إلا ببذل المال والأرواح .

راقب الشاعر نضال الأمة وشاركها أحداثه ، رغم " الحواجز المتعمدة التي لجأت إليها فرنسا لتفصل بين الجزائر والأمة العربية وحتى بين أقرب الأقطار إليها " (1) فرغم محاولة الاستعمار تجريد عرويته إلا أنه لم يفلح "لأنه عربي في دمانه في عيونه" (2) يهتز لكل حدث يحل على الأمة ، وعندما حل وفد المصريين بالجزائر رحب به قائلا: (3)

ياقادة النيل يمنا طاب مقدمكم إلى الجزائر في أيامها السود

أرض العروبة والإسلام من قدم وموطن للأباء الحق والجود

زرت بني رحم حسر معذبة من كل شهم بقيد الذل مصفود

يأمل الشاعر في المشرق العربي أن يمدد بالعون ، ليتحرر من قيوده ، فكان شعره شكوى وزفرة حادة (4) يعبر من خلاله عن وجدانه ويعكس على صفحته الجميلة منازع نفسه ومناحي تفكيره حية نابضة (5)

ولأن المرأة عماد المجتمع العربي وقلبه النابض، شملت دعوة الشاعر للجهاد ؛ لأن المرأة العربية استطاعت أن تصمد إزاء الشدائد والمحن وأن تضاهي أخاها الرجل في ساحات الوغي فكانت " تقوم بمهامها الموكلة إليها أثناء المعركة بكامل الفعالية والأداء ... إضافة إلى ذلك فإن النساء كانت تنجز مهمات عديدة وحيوية مما يجعل وجودهن ضروري " (6)

فلا يدخر الشاعر جهدا في الثناء على المرأة والإشادة بخصالها الحميدة وروحها الطاهرة وأصلها الطيب فيقول: (7)

(1) عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص101

(2) المرجع نفسه ، ص 93

(3) الربيع بوشامة الديوان ، ص 72

(4) ينظر ، محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 19

(5) ينظر ، عمر الدقاق ، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، دار المشرق العربي ، بيروت ط 1 ، 1985 ، ص 384

(6) عائدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ، ترجمة محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ، ص 208

(7) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 179

يا ابنة العرب الأباة	نسل عز ونضال
عشت خير السيدات	رمز فضل وكمال
أنت ركن للحياة	أنت أصل للمعال
أنت خير المنجبات	لصناديد الرجال
يا ابنة العرب تعالي	فادخل ساح النضال

ومن الصعوبة أن نحصي المواضيع والمناسبات التي تناول فيها الشاعر استنهاض الشباب العربي لاستكمال مسيرته النضالية بعزيمة وثبات ، فهذه المعاني نجدها ماثلة في كل قصائده الثورية فكان في انطلاقته الشعرية " عنف الاحتباس الخانق لها طيلة الاحتلال الفرنسي ، وتطفوا لفظة العروبة على كل بيت في كل قصيدة " (1) فيطغى على شعره الطابع الوجداني المشحون الذي يحركه الشعور المشترك بوحدة الصرح العربي لغة ودينا وتاريخا ومصيرا مشتركا .

هـ - الأناشيد :

لا تخرجوا الأناشيد عن كونها شعرا غنائيا ، تميزت بالدوام وعرفت بالبقاء والاستمرارية خلافا لغيرها من أنواع الشعر الأخرى كشعر الملاحم مثلا ، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد مندور في قوله " إن فن الشعر الغنائي هو الفن الذي لا يزال صامدا بحيث ينصرف الذهن عند الحديث عن الشعر إليه دون غيره ، وذلك بحكم أن شعر الملاحم ، قد انقضى عصره بانقضاء الإعجاب بالبطولات الجسدية والإيمان بالخوارق البدنية " (2) فيبدو أن الشعر الغنائي يتميز ب " الطابع الوجداني العاطفي فهو قد يكون وجدانيا ذاتيا عند الرومانسيين ، وقد يتحول إلى وجدان اجتماعي جماعي عند الواقعيين ولكنه دائما يظل محتفظا بنبرات الوجدان البشري وحرارته " (3) والأناشيد لا تخرج أن تكون شعرا وجدانيا غنائيا جماعيا، تردها الشعوب فتغني بها في السلم والحرب ، بوصفها المعبرة عن آمالها وأمانيتها وطموحاتها ومن هنا " فالغنائية ...سمة من سمات الشعر الكبرى ولا بد منها لكل شاعر يشعر برسالته الملقاة على عاتقه والدور الذي يجب أن يؤديه في مجتمعه

(1) صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص25

(2) محمد مندور الأدب وفنونه ، القاهرة دار نهضة مصر ، دت ، ص59 – 60

(3) المرجع نفسه ، ص59 – 60

حتى يشعر بالأثر الذي يتركه في أبناء وطنه " (1)

وللنشيد أثره في تحريك الوجدان ساعة التنشيد خاصة إذا " سيطر النغم على السامع وجدت له انفعالا في صورة الحزن حيناً ، والبهجة حيناً آخر والحماس أحيانا أخرى وصحب هذا الانفعال النفسي هزات جسمانية معبرة ومنتظمة تلحظها في المنشد وسامعه معا " (2) ومن أناشيد الشاعر التي بقيت شاهدة على مقام الشعر في خضم المعارك نجد (تحية الكشاف ، صوت الجهاد ابنة العرب... الخ) ولم يكتفي فيها بتسجيل المعارك والتغني بها فحسب، بل شارك في صنعها.

مضى الربيع بوشامة في أناشيده يحرك المشاعر ويهز الأفئدة فبرزت " في أناشيده قيم النضال والثورة ، كما برزت سيمة فنية في لغته وهي لغة التحريض ، وأسلوب التعبئة الجهادية مبشرا بقيم التضحية في سبيل الوطن ، صونا للكرامة الإنسانية ودرء للمخاطر التي تهدد الانتماء الحضاري للأمة " (3) فهو يردد: (4)

إن الجهاد	شيء عظيم
يلقى العباد	فيه النعيم
حرر حماك	من كل شر
وأنشر لواءك	في كل بر

وفي نشيده صوت الجهاد يبين " أن الشعب الجزائري صبور ، لا يمل الكفاح ولا يتولى يوم الزحف ، وإنما هو صاحب إرادة صلبة وعزيمة فولاذية ؛ لأنه عشق الجهاد وأحب الحرية رفض الخائنين ، وراح يجاهد دون أن يعرف الكلل إلى نفسه طريقا " (5) وفي هذا الصدد يقول: (6)

تقدم بحزم قوي الفؤاد لصون الدمار وفك الجهاد

(1) حواس بري ، شعر مفدي ، ص 96 – 97 (2)

(2) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، القاهرة ، دار القومية لطباعة والنشر ، د ت ، ص 37

(3) عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ص 73

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 208

(5) حواس بري ، شعر مفدي ، ص 102

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 177

أغث مرهقا في العذاب الأليم يجر على وجهه في الجحيم
فأرواحهم في سماء الخلود تناد الجهاد، الجهاد، الجهاد
وإنصافا لجهد المرأة في الثورة التحريرية حكى الشاعر على لسانها نشيد ابنة
العرب ، لتسجيل عملها البطولي ، وموقفها المشرف في الثورة فأفصح : (1)
يا ابنة العرب الأباة نسل عز وفصال
عشت خير السيدات رمز فضل وكمال
أنت ركن للحياة أنت أصل للمعال
ضمن الشاعر ديوانه أناشيد حماسية ، سكب عليها من فيض أحاسيسه ما جعلها حية
تردد عبر الزمن .

(1) المصدر السابق ، ص197

الفصل الثالث

البعد الفني

1 - اللغة الشعرية

أ- المعجم الشعري

ب- الأساليب والتراكيب

2 - الصورة الشعرية

3 - الموسيقى الشعرية

أ- الموسيقى الخارجية

ب - الموسيقى الداخلية

1- اللغة الشعرية

تعد اللغة المعين الذي لا ينضب مهما غرنا منه، فهي الملكة الفكرية التي نجسدها في الواقع عن طريق الكلام لغرض التواصل الإنساني بين المجتمعات؛ لأنها تحمل أفكارا وأحاسيسا و هواجسا وتطلعات لهذا الإنسان، بل إنها تمثل مرآة عاكسة لشخصيته سواء أكانت لغة نثرية أم شعرية فهي "التي تحدد شخصية الشاعر وأفكاره وهي التي تعبر عن حقيقة مشاعره وصدق أحاسيسه" (1) فيمكن اتخاذها ركيزة أساسية في "العملية الإبداعية، أجراسا وضلالا، وصورا وإيقاعات" (2) فهي ضرورية "في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير" (3)

فاللغة أشبه بالمفتاح الذي نلج به عوالم الشعر المكنية التي تموج بالأفكار الساحرة لأن روحها الإيحاء "فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به" (4) لذلك قيل "إن الشعر لا يصنع من الأفكار ولكن من الكلمات" (5)

وموهبة الشاعر هي التي "تجعل منهما اللغة والفكر شعرا وفق رؤيته الفنية للأشياء" (6)

لقد اعتنى المحدثون باللغة الشعرية على اعتبار أن "اللغة تعني الطريقة أو الأسلوب التي تتحقق من خلال الإحساس والانفعال والتفاعل مع التجربة، فمن خلال اللغة يحقق الشاعر استقلالته وتميزه. هذا الاهتمام نابغ من قناعاته بأن أهم فارق بين الشعر والنثر ليس القالب الموسيقي وزنا وقافية وإنما البنية التعبيرية" (7) فيتفرد الشاعر عن غيره بلغته، فتعد امتدادا لتجربته الخاصة "فاللغة الشعرية تستمد إشعاعاتها وإيحاءاتها من تجربة الشاعر وأصالتها، التي تقوم أساسا على ذوقه الرفيع

(1) عمر بوقرورة، علاقة الشعر الجزائري بالتاريخ والوجه الآخر للبطولة باتنة، ط1، 1998 ص56

(2) عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية، دار العودة بيروت، ط1، 1981 ص73

(3) المرجع نفسه، ص174

(4) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1964، ص415

(5) جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ط1، 1993، ص25

(6) فتيحة محمود، محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1987، ص134

(7) أحمد حمدي، قائمة المغضوب عليهم، ع5/24 جوان 1973 ص17

وإحساسه العميق ووعيه للكلمات وأبعادها ، وتلك ميزة ذات أهمية بالغة ؛ لأنها روح الأصالة وانعكاس مباشر لها، تنطبع في عمل الشاعر وتتجسد في أسلوبه وعمله الفني فيكون بذلك نموذجا فردا ذا طابع متميز⁽¹⁾ ولغة الشاعر اليوم تختلف عن لغته أيام الجاهلية ف"مازالت عربيتنا الأدبية أو الكتابية بعامة هي العربية الفصحى وإنما تختلف من حيث علاقتها بظروفنا المعيشة الراهنة، بأفكارنا وتصوراتنا وأراءنا بمشكلاتنا وقضايانا، وبكل ما يمثل الجوانب الروحية والمادية في حياتنا، كل هذا من شأنه أن يشكل اللغة تشكيلا جديدا يتناسب وواقع هذه الحياة"⁽²⁾

إذ "ليس من المعقول في شيء، بل ربما كان من غير المنطقي أن تعبر اللغة القديمة عن تجربة جديدة"⁽³⁾ والشاعر الربيع بوشامة شاعر وجداني محافظ "يعالج أفكارا ومضامين وجدانية ذاتية ولكن بلغة تقليدية محافظة ، قد لا تختلف في شيء عن لغة الاتجاه السابق ، وكانت سمة ملحوظة في جل الشعر الجزائري إبان العشرينات والثلاثينات"⁽⁴⁾

فاللغة عند الشاعر لم تكن غاية بقدر ما كانت وسيلة يترجم بها سخطه وغضبه وثورته على الاستعمار وأذنا به ، ويعبر بها عن شوقه وحبه لوطنه الأسير، لغة أخذها من معاناة الجزائر وشعبها، واستقاها من قلب المأساة فكانت "متميزة ذات إحياءات وظلال خاصة يمنحها لرموزه اللفظية مصدرها هذه التجربة الشعورية الزاخرة وهذه الذبذبات النفسية تغمر جوارح نفسه وقد تطفح على سطح حياته"⁽⁵⁾ وعلى العموم فإن اللغة هي أول عنصر يصادفنا في أي عمل فني إذ أن "عملية الإبداع تتمثل أقوى ما تتمثل في إبداع اللغة"⁽⁶⁾ ولأهميتها في الحكم على العمل

الشعري سلبا و إيجابيا فسأحاول من خلال القصائد دراسة لغة الشاعر الربيع بوشامة وإبراز مدى قدرته على خلق لغة فنية خاصة به تحمل أحاسيسه وهواجسه الحائرة ، وتعتبر عن أفكاره الثائرة وتعقب بروحه الوطنية المتوثبة ونزعتة القومية

(1) يحيوي الطاهر، البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1 ، 1983 ، ص51

(2) عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضايا وظواهره الفنية ، ص175

(3) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص313

(4) المرجع نفسه ص313

(5) محمد ناصر بو حجاج ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، المطبعة العربية غرداية ، الجزائر ، ط1 ، 1992

(6) عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضايا وظواهره الفنية ، ص178

الإنسانية ، مع الاستشهاد بنماذج شعرية من ديوانه لتبدو الصورة واضحة ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

أ - المعجم الشعري

عندما نمعن النظر في ديوان الشاعر ، نجده قد أبرز في قصائده الوجه الحقيقي للواقع الجزائري فاستخدم في قاموسه الشعري اللغة الوجدانية التي تقطر ألما وأحلاما فتضافرت حياته الشخصية بالحياة المأسوية للشعب الجزائري ، فلم يتعامل مع الكلمات والألفاظ تعاملًا معجميًا صرفًا ، بل انزاح بها إلى الواقع فأطعمها من وجدانه وسقاها من روحه المتوثبة وألبسها وشاحًا من وطنيته الجريئة ، وأضفى

عليها من ألوان الطبيعة التي تموج فرحا وحزنا وأملًا فيقول: (1)

إنني مشغوف نفس بالزها أتلقاه بشوق وطرب

وأناجيه بسر ملهم يتملاه ويوليه القرب

الأبيات لوحة عبقة برائحة الوطنية والقومية ، تنضح حبا وشوقا وحنينا لوطنه العربي الذي يزداد رغم الألم جمالا .

وفي هذا الجو الكئيب لا يجد الشاعر إلا الطبيعة أما رؤوما ، وصدرا حنونا فهي فاتنة " بغاباتها ومياها وجبالها وسهولها ومروجها وصحرائها " (2) دفعته يقول: (3)

دنيا من الحسن مدت في روائعها يد "العناية" فازدانت لرواد

جمعت كل بديع مبهج خصت من الطبيعة في سهل وأطواد

وما تغني الشاعر بالوطن وجماله إلا فيضا من وطنيته المقهورة ، وفي قصيدة وحي الذكرى (4) نجد ألفاظ مثل : عيد الهدى ، أعز ، الدهر ، رحى ، يسعد ، يكسوها معنى العظمة والعزة ؛ خلع عليها الشاعر من وجدانه هالة من الجلال والسمو .

ويضج الفعل " رجعت " بالحركة والتجديد والاستمرار ، وله حيوية يستمدّها من حرفي الجيم والعين ، فكلاهما صوت مجهور (الجيم مركب والعين مرقق)

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص56

(2) محمد الطمار ، تاريخ الادب الجزائري ، ص381

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص62

(4) المصدر نفسه ، ص39

"وحرف الراء في بداية الكلمة يحمل معنى الربط " (1) ووردت في القصيدة ألفاظ (المولد ، النور ، أعلى ، طاب الإسلام ، أملاك ، جنات عرشك الأعلى) تشع نورا وضياء ، كما تتميز بالقوة والجزالة وذلك راجع لتمكنه من " اللغة العربية ومفرداتها ومن قواعد اللغة العربية نحواً وصرفاً ، وإطلاع واسع على التراث العربي الإسلامي ولا سيما مصادره الأصلية مثل : القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأدب العربي القديم شعراً وخطباً وأمثالا وقصصاً " (2)

وللطبيعة حضور واسع في شعر الربيع بوشامة " له شغف واضح باستخدام معجم مستمد من مشاهد الطبيعة ومناظرها " (3) فهو يستقبل الربيع بقوله: (4)

طف بالبساتين وانظر محاسنها من ساقيات وأشجار وأوراد
والحظ مزارع قمح في مواسمها : ما بين بذر ، وأنبات وأحصاد

إن " هذه اللغة رغم خطابيتها فهي لغة مستمدة من الطبيعة ، إذ تذكرنا بلغة ابن خفاجة وابن زيدون ، وبكثير من شعراء الأندلس بخاصة وشعراء وصف الحقائق الغناء في الشرق وبخاصة في العصر العباسي " (5) فالتغني بجمال الطبيعة والتركيز على سمات الحزن والأسى ، معاني دالة على وجدانية ألفاظ الشاعر ورمسيته .

أما إذا أردنا دراسة ألفاظ الشاعر من حيث البساطة والتعقيد وجدناها جزلة قوية لكنها في نفس الوقت بسيطة موحية ، وهذا ليس حكماً عاماً بل لا يعدو كونه حكم نسبي قد نجد ما يغيّره في قصائد الشاعر ذاته ، وهذا ما نلاحظه في قصيدة خواطر وأنات : (6)

يا معرضاً عن جريح في يد الهون هلا إقتربت - لوجه الله - تفديني
إني وليدك من روح ومن رحم فتحت لي في المعالي كل مكنون
فمعجم ألفاظه بسيط موح ؛ لأن -الفاظه - متداولة تحاكي آمال الشعب و الآمه

(1) مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية ، في لغة الشعر الحديث منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص34

(2) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية ، ص294

(3) المرجع نفسه ، ص255

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص62

(5) محمد زغينة ، من شعر شهداء الثورة التحريرية ، ص146

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص40

كما يظهر في قصيدة تحية أشقاء: (1)

يا قادة النيل يمنا طاب مقدمكم
إلى الجزائر في أيامها السود
أرض العروبة والإسلام من قدم
وموطن للآباء الحق والجود

ألفاظ الشاعر في هذه الأبيات سهلة الفهم لا تحتاج إلى معجم يوضحها ، وإذا عدنا إلى قصيدة " خواطر وأنات " نجد الشاعر " استهلها بحروف تحمل معنى الصراخ والرفض ولعل حروف المد أول ما يثير الانتباه : يا، معرض ، جريح ، هلا ، تفديني فالمد يحمل معنى الأسى والفقد وقد عقبها بصوامت تترجم تلك الملازمة للأحاسيس في يد الهون ، اقتربت لوجه ، فهي تحمل معنى التقرير " (2)

الشاعر وهو بصدد الكشف عن نفسيته المتعبة " وجد في الحروف الصوامت ما يؤدي عنه ذلك وفي المد تنفيسا ، وقصيدته تعج بالحروف المهموسة الحاء ، الهاء ، الهمزة ، الخاء ، الكاف ، الشين ، السين ، الصاد ، التاء ، الطاء ، الثاء

، ألفاء " (3) ، وخير دليل على ذلك العنوان يحمل أربع حروف مهموسة الخاء + الطاء + الهمزة + التاء فهمسه ليس ضعفا وإنما حزنا وأنينا وما يؤكد ذلك قوله في قصيدة صوت الضمير: (4)

عصيتك والعصيان للنفس أحزم وصنتك — رغما- والجوانح تضرم
ودعت بروح الله والخلق راضيا يحظى فلا أبغي ولا أتت——دم

فهذه اللغة عصيتك ، وصنتك ، تضرم ، أتندم ، أتلوم ، لغة قاموسية جزلة قوية إضافة إلى أنها مشهود لها في الشعر العربي التقليدي تعبر عن شخصيته الثقافية وحياته الإصلاحية اليومية التي قولبت لغته بهذه السمة ، وجعلتها لغة قريبة

المنال (5)

(1) المصدر السابق ، ص 72

(2) مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية ، ص 38

(3) مصطفى حركات ، الصوتيات والفونولوجيا ، دار الأفاق الجزائر (د ت) ، ص 95

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 68

(5) ينظر ، محمد زغينة ، شعر شهداء الثورة التحريرية ، ص 154

والشاعر إلى جانب كونه محافظا ، فإنه أدخل إلى قاموسه الشعري مصطلحات حديثة تتناسب ومقتضيات عصره من مثل قوله : (1)

تلك الثقافة باركت أعمالها في العالمين قداسة الأخلاق

تلك الحضارة ما أقام بناءها إلا ذو الأفكار والأذواق

ويبقى النبع الأصيل الشافي الذي شرب منه الشاعر حتى ارتوى منذ يفاعه صباه هو القرآن الكريم فقد " رسبت في ذاكرته ألفاظا قرآنية تكررت في القرآن مرارا ، فدارت في أشعاره كثيرا لارتباطه بحياته من حيث التعبير عن مكنوناته والإفصاح عن مشاعره " (2)

ولغة القرآن الكريم كان لها حضور واسع في معجم الربيع اقتباسا وتضمينا واستشهاد إذ نجد في قوله : (3)

أسس على التقوى أجل بناء وارفع على الدنيا أعز لواء

وإبن المساجد والمدارس في الحمى للأنفس الحرى من الضعفاء

اقتبس الشاعر عبارة أسس على التقوى من قوله تعالى "...لمسجد أسس على التقوى أول يوم " (4)

وقوله في قصيدة حي ذاك الصريع في الميدان: (5)

تحت حكم اليهود " أخبث " من عا ث فسادا في عالم الإنسان

وهذا البيت استلهم فيه الشاعر معنى قرآني هو اليهود الذين عاثوا في الأرض فسادا

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص97

(2) محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص134

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص94

(4) التوبة 109

(5) الربيع بوشامة ، ص55

كذلك في قوله (1): لا تغرنك عزة النفس بالإثم فتجني في الناس سر نجاح

هي صورة أخذت من سورة البقرة لقوله تعالى " ... ولا تعثوا في الأرض مفسدين" (2) وكثيرة هي معاني القرآن وكلماته في قصائد الشاعر لأن " لغة القرآن تمتاز بمميزات لا تتوفر عليها أية لغة معبرة أخرى مما جعلها تتسهم الذروة في البلاغة والبيان " (3)

ومهما اختلفنا في نظرنا إلى شعر الربيع بوشامة ولغته فقد ترفع من قدره وقد تحط ، ويبقى ذلك اجتهدا منا ، وعلينا أن نراعي ظروف الشاعر وبيئته وثقافته المحافظة وأنه رغم آلامه ومعاناته ، فقد كانت لغته وسطا ، لغة بسيطة في تركيبها عميقة في معناها المستوحى من الواقع الأليم الذي عاشه الشاعر بمعية الجماعة إذ "استطاع أن يتصور الموقف وأن يتجاوب نفسيا مع الحدث ، فأعمل خياله إلى حد بعيد " (4)

استعمل الربيع بوشامة اللغة أداة للتعبير عن الحياة فتمكن بموهبته الشعرية من إبراز مأساة شعبه فكانت قصائده صورة حقيقية لواقع الوطن.

ب- الأساليب والتراكيب

يمثل الأسلوب الطريقة التي يؤلف بها الأديب أو الشاعر بين ألفاظه، ولكل أسلوبه الخاص فهو "مجموعة من الإمكانيات تحققها اللغة ويشغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب الناجح أوصانع الخيال الماهر، الذي يهيمه تأدية المعنى بأوضح السبل وأنسبها وأجملها " (5)

والربيع بوشامة في ديوانه "يفضل تلك الألفاظ والعبارات القادرة على إثراء تجربته الفنية الثرية بالإيحاء الفني والروحي ، والتي تستطيع أن تشيع حولها ظلا ونغما وتضفي على القصيدة جوا أشبه ما يكون بذلك الجو الذي تضيفه اللوحة الزيتية

(1) المصدر السابق ، ص47

(2) البقرة / ص60

(3) محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص130

(4) الشريف مربي ، عبد لكرم العقون ، شاعرا ، ص194

(5) ريمون طحان ، الألسنة العربية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ط1 ، 1972 ، ص116

الرائعة⁽¹⁾ فاللغة في نظره "جزء من العملية الإبداعية تولد مع الصورة والفكرة والنغم والإحساس ،عملية متكاملة لا يهتم فيها بعنصر دون آخر وأصبحت الصياغة والحالة هذه تناسب بطريقة عفوية ، يكون الشاعر الوجداني أثناءها في شبه غيبوبة مستسلما لعواطفه التي تنتال عليه انثيالا فتوحي إليه بالتالي بالألفاظ التي تجسد تجربته"⁽²⁾

وديان الشاعر بما فيه من قصائد يتميز بجملة من الخصائص ، ففي قصيدة اعمل النار والظبي في الأعادي يقول:⁽³⁾

اعمل النار والظبي في الأعادي	إنما هذا اليوم يوم الجهاد
وانشر الهام والجسوم وأوصال	العدا في الهول والأطراد
واسكب الدمع والدم الحريجي	ههنا وهناك في كل وادي

القصيدة تزخر بالإضافات والنعوت وحروف العطف ، التي أسرف في استعمالها فاعتمدت صياغته على "الإضافات والنعوت وحروف العطف .اعتمادا مسرفا وحشدها حشدا متراكما "⁽⁴⁾ ولا يعود ذلك لضعف لغته ؛ بل لأن الشاعر واقع تحت تأثير مشاعره المتدفقة .ومن أمثلة هذا الحشد في القصيدة السابقة تكرار حروف العطف "و،في ، على" والإضافات (الجهاد ،الأطراد ، وادي ، البوادي صارى...))

أما في قصيدة " ليت شعري ماذا جنته زواوة "⁽⁵⁾ اعتمد صيغة المبالغة؛لأنها الأنسب للتعبير عن همجية المستعمر وتقننه في استباحة دماء الجزائريين وأرضهم

أنظر الدمع والدماء الغوالي	في محيا الجزائر المثكال
تتجلى منه الشهادة- صبرا-	تحت هول التعذيب والتقتال
تتراى الناس فيه دماء	ودموع مشبوبة السيلال
منظر فاجع حوى كل شر	من شرور " المستعمر" الدجال

(1) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص315

(2) المرجع نفسه ، ص343

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص220

(4) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص343

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص65

وصيغة اسم الفاعل نجدها بكثرة في ديوان الشاعر ومثال ذلك قصيدة هنيئا لك
الحب يا أبا عبد الله: (1)

أبعد اشتعال الشيب تعشق صالح ويصيبك ثعر باسم وملامح ؟
وتصبح بين الفاتنات كريشة يصرفها غاد لهن ورائح
كأنك في فجر الشيبية مولع بحب الغواني ملهب النفس جامع
نجد صيغة اسم الفاعل متناثرة هنا وهناك في ثنايا القصيدة(باسم ، غاد، لرائح ، جامع
نائسات ، زائرلت، نائح، ناصح....)

أما شعره الوطني فإنه يموج "بصيغة الأمر" التي تتناسب مع الحس الوطني الذي
يبغي الشاعر تأكيده وترسيخه من خلال شعره ومن ذلك قصيدة حييت يا ليبيا
الشماء: (2)

يا حادي المجد مفرحا بأوطار طف بالبشائر من دار إلى دار
وانظم مشاهد أعراس بكل حمى وارفع منارات أعلام وأنوار
واجمع بني جنسك الأمجاد في حرم مكهرب الجو هزاز للأوتار
وابسط لكل يد الإحسان تهنئة وحسن لقيا بأطياب وأزهار

تتراحم أفعال الأمر في القصيدة فنجدها في (طف، انظم، ارفع، امع ، ابسط...).

أما إذا تتبعنا أساليب الشاعر نجدها تراوحت بين الخبري والإنشائي، حسب
الموضوع المعالج والحالة النفسية التي تسيطر على الشاعر، فاستعمل الأسلوب
الخبري ليصف ويقرر حقائق. ونجده بخاصة في قصائد الذكرى مثل (عجبا
لوجهك كيف عاد لحاله، في عيد العلم، بالعلم و الآداب ، علم النور ، روح الوفاء...)

لأنه مناسب للتذكير وتعداد المناقب مثل: (3)

شابت لهولك في الجزائر صبية وانماع صخر من أذاك الطامي

(1) المصدر السابق ، ص223

(2) المصدر نفسه ، ص 70

(3) المصدر نفسه ، ص 58

وتفطرت أكباد كل رحيمة في الكون حتى مهجة الأيام

و"شابت لهولك في الجزائر صبية" أسلوب خبري يبين فداحة الخطب الذي ألم بالجزائر " فيذكر الصبيان الذين كانت شعورهم سودا فارتدت بيضا وأن جلمود الصخر الصلب ارتد مائعا سائلا " (1)

وفي قصيدة ذكرى بن باديس يقول : (2)

جرح عبد الحميد في القلب دامي لا يواسيه غير طب الحمام

كلما طال عهده زاد عمقا في نفوس الأبناء والأعمام

يخبرنا الشاعر بأن ألمه عظيم وحزنه جليل لرحيل ابن باديس ، غير أنه لم يستعمل أدوات التوكيد فهي حقيقة ، لا يحتاج لتوكيدها ؛ لأن الشاعر يعتبر ابن باديس الأب الروحي له والأستاذ المصلح.

أما الأساليب الإنشائية، فقد شغلت حيزا معتبرا في ديوان الشاعر ، وهذا راجع إلى طغيان النبرة الخطابية في أشعاره التي تركز في " صياغتها العامة عادة على الأدوات المستعملة في الخطاب ، كأدوات الاستفهام والنهي والنفي والتوكيد والنداء والإكثار من صيغ التعجب... وما إليها من الصيغ المعروفة في أساليب اللغة العربية الإنشائية " (3) ومن المواضيع التي ورد فيها الاستفهام قول الشاعر: (4)

عجا كيف يدعى العلم والتدين قوم عاشوا على القتال ؟

استفهام ممزوج بالتعجب من قوم يعشقون سفك الدماء ، ويدعون العلم والدين في قول الشاعر (5)

أين أنت اليوم ————— شعبك الفادي الغي ————— ور

أترى قد خنته ————— وتتبع الفج ————— ور ؟

(1) عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 – 1962) سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات

ص 282

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص110

(3) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص611

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص65

(5) المصدر نفسه ، ص232

يستفهم الشاعر لغرض لفت الانتباه فيسأل عن موقع الخائن للوطن من شعبه ،
والذي افتدى الوطن فشغل الدنيا بصموده الفذ ، وغيرته اللا محدودة على حريته .

وأسلوب الأمر نجده شائع في مجال الحث على الجهاد والنضال فهو يقول: (1)

حقق لشعبك غاية الآمل بقوى السلاح وهمة الأبطال

وارفع لواء الحرب في كل الذرى حتى تحرره من الأغلال

فهذا السيل من الأفعال الآمرة يتخذه الشاعر مطية للدعوة وسحق العدو وعدم
الاستسلام لنيل الحرية أو الاستشهاد.

أما الحظ الوفير في شعر الربيع بوشامة كان من نصيب أسلوب النداء ، إذ نادى
الوطن ونادى الكون والليل ونادى الله ونادى الشباب... إلخ وتجاوز نداء الشاعر
العاقل لغير العاقل، ومن أمثلته في الديوان: (2)

يا رحمة الله للوجدان من كرب جبارة تتوالى دون تهوين.

هذا النداء غرضه الدعاء، إذ يرفع الشاعر يديه بالدعاء لله ليزيح همه ويفرج كرب
ويتخذ الشاعر من ذكرى الثامن ماي منبرا لنداء الشعب حتى يثبت ثبات الجبال
الراسيات ويصحح عزمه وإيمانه بعدالة قضيته ليحقق الحرية والاستقلال فيقول: (3)

أيها الشعب صحح العزم والإيمان وأثبت - عوضا - ثبات الجبال
وتيقظ للحادثات وللـكـيـد وكفاح مستوثق الآمال

والنداءات كثيرة ، ومنها ما وجهه الشاعر لفلسطين في قوله: (4)

يا فلسطين يا حمى الله صبيرا للمقادير في ابنك المحسان

يتخذ الشاعر من النداء وسيلة لتعزية فلسطين في شهيدها البطل عبد القادر الحسيني.
وإلى جانب هذه الأساليب اعتمد الشاعر أسلوب التكرار لما له من دلالات نفسية
وفنية "إذ يعني التكرار الإلحاح في العبارة عن معنى شعوري يبرز من بين

(1) المصدر السابق ، ص235

(2) المصدر نفسه ، ص40

(3) المصدر نفسه ، ص52

(4) المصدر نفسه ، ص54

الموقف الشعوري أكثر من غيره أما من الناحية الفنية فإن التكرار يحقق نغمة...تغني المعنى وتؤكد الدلالة " (1) ففي قصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" يلجأ الشاعر إلى تكرار الاسم المتمثل في شهر ماي أكثر من ستة مرات وهذا يعكس ما خلفته هذه الأحداث الدامية وهذا الشهر المشؤوم في نفسية الشاعر، ضف إلى ذلك أنه كرر عبارة كاملة في قوله : (2)

ما كنت أهلا للنقائص والأذى لولا يهوي في دولة الأقوام

ما كنت أهلا للفجائع والردى لولا يد من ناغم غشام

فتكرار "ما كنت أهلا" و "لولا" في البيتين بصيغة الشرط أعطى للقصيدة إيقاعا موسيقيا خاصا عبر بشفافية وصدق عن إيقاعات الألم التي يهتز بها فؤاد الشاعر وغيرها من التكرارات الكثيرة في الحروف والجمل والمقاطع التي حمل بها شعره وفي هذه القصيدة يبدأ الشاعر بالتمهيد ، يتذكر فجائع ماي ومرارته ليصل إلى غاية، وهي الثورة لتحرير الوطن وهو أسلوب تميز به الشاعر الشهيد .

وعلى العموم نستطيع القول أن لغة الشاعر تتسم بالتقرير والمباشرة وذلك راجع لطبيعة الرسالة التي يحملها على عاتقه ، الرسالة الإصلاحية التي تتطلب من صاحبها أن يكون واضحا فهو صاحب رسالة وطنية تحريرية ، تسعى لبث الروح الوطنية ، والتعبير عن معاناته بمأساة بلاده وشعبه وقد كان لثقافته الدينية والكلاسيكية دورا فعالا في شعره فكان شعر فكر لا شعر فن ، شعرا موضوعيا لا ذاتيا " وهذه الظاهرة قد تجلت بصفة لافتة للنظر في المرحلة الإصلاحية ولا سيما في القصائد التي تعالج موضوعات دينية واجتماعية ، هذه القصائد التي يتغلب فيها الموقف الموضوعي على الشاعر ، فلا يسمح له فهمه للذات بالظهور إلا نادرا" (3) ومع ذلك لا ينبغي أن يفهم القاريء من ذلك سطحية الشاعر ؛ بل نصادف في قصائده نفحات شعرية جميلة، ضف إلى ذلك نبيل مواضيعه فهو من الشعراء القلائل الذين جادت قرائحهم بمثل هذا الشعر الوطني والنضالي الملتزم في وقت كمتت فيه الأفواه وربطت الألسن وهذا ما يؤكد عبد المالك مرتاض في حديثه عن أهوال الثامن ماي 1945م قائلا "ولكن ما بالنا نلوم شعراء الشباب ولم يكذبوا يلتفت من الشعراء الشيوخ أنفسهم ممن عاصروا تلك المحنة إلا الربيع بوشامة والعقون ؟

(1) مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في الشعر العربي ، ص172

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص59

(3) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية ، ص277

وما بال شعراء آخرين شاهدوا ما شاهدوا فصمتوا ؟ أخرستهم أهوال المأساة؟ أم لم يتفاعلوا مع مصائب الشعب الجزائري فتجنبوا الحديث عنها " (1)

قتقريرية الشاعر لم تكن محضة بل ألبسها من روحه الوجدانية العذبة فخط ديوان ثورة ما زالت في المهد ، وخلد كفاح شعب أراد الحرية فأذعن له القدر.

(1) عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1930 – 1962) ، ص 177

2- الصورة الشعرية

لقد كان الشعر عرضة للتغير والتطور منذ فجر التاريخ ، هذ التغير كان متبوعا بتحول الرؤية النقدية إلى مقوماته الفنية التي تمنحه صفة الشعرية من لغة وفكر وموسيقى ، أما الصورة الشعرية فقد كانت مكانتها ثابتة منذ القديم ؛ لأنها جواز الشاعر الفطري الذي بدونه لن يستطيع دخول مملكة الشعر وفتح أبوابها الموصدة فالشعر رسم ناطق كما يرى تيمونيدس (1) ، وهو ضرب من التصوير كما يراه الجاحظ (2)

و الصورة الشعرية في جوهرها إبداع ذهني صرف كما يرى عز الدين إسماعيل (3) هذا الإبداع يعبر عن نفسية الشاعر ويتخذ من مخيلته حيزا خصبا ، يلقي الضوء على أفكاره الكامنة والشعور الذي يمازجها ، وكلما اتسع مجالها زاد إبداعها " لأنه مهما يكن الموضوع الذي يتناوله الشاعر بالتصوير فلا مناص من أن يتلون بلون نفسية الشاعر ، وذلك ما يعبر عنه بالصدق في التعبير (4) وتعد الصورة الشعرية من أهم السمات التي تميز الشعر عن النثر ف " أهم خاصية تميز لغة الشعر هي الصورة لأن الصورة هي الأداة التي يتخذ الشعر بواسطتها سبيله إلى التأثير في المتلقي إحاءا ورمزا " (5)

ف " الصورة وهي جميع الأشكال المجازية إنما تكون من عمل القوة الخالقة فالإتجاه إلى دراستها يعني الإتجاه إلى روح الشعر " (6) لأن الشاعر يرى الواقع بعين الخيال فلا ينفصل عنده الواقع عن الخيال ف " الفكر والشعور يلتقيان في لقاء باطني ويلتحمان ويؤلفان الصورة معا في لحظة انفجار التجربة " (7) ومن هنا نتبين أن الصورة الشعرية هي الصيغة الفنية اللفظية لأفكار الشاعر وهواجسه اتجاه

الواقع الخارجي وصورة صادقة عن أحاسيس الشاعر وعواطفه المنفعلة وبعبارة أخرى هي تلاحم الفكر أو العاطفة بالصورة الحسية النابعة من الوجدان كما يفضي

(1) ينظر محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ، دار النهضة العربية مصر ، ط 1 ، 1964 ، ص 51

(2) ينظر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ص (31 - 32)

(3) ينظر عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، دار العودة بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1981 ، ص 70

(4) يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند شعر مقدي زكرياء ، قسنطينة ، ط 1 ، 1987 ، ص 320

(5) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 421

(6) إحسان عباس ، فن الشعر ، دار بيروت ، لبنان 1955 ، ص 227

(7) إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان النطبوعات الجامعية ، الجزائر 1991 ، ص 253

بذلك عز الدين إسماعيل في قوله " تركيبية وجدانية ، تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع " (1)

ومصطلح الشعرية لم يكن شائعاً في أوساط العرب القدامى ، رغم أن شعرهم لم يخل من الصور البلاغية كالمجاز والتشبيه والاستعارة ، أما الصورة الشعرية في العصر الحديث لم تعد تلك الصورة البلاغية المقصودة بالمصطلح إذ " تخلو الصورة بالمعنى الحديث من المجاز أصلاً فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصب " (2)

ومما سبق نستطيع القول بأن " الصورة الشعرية مصطلح شعري يعني نوعاً من العلاقة بين الفكرة والواقع الحسي وتعرف الصورة عن طريق تقريبها بين أشياء متباعدة لا تجمع بينها إلا علاقات كامنة بعيدة وبقدر ما تتركب الصورة وتتكشف بقدر ما تتوغل في الإبداع ، فالشاعر يقوم بعملية تفكيك للواقع الحسي ، فينتقي منه ما يخدم شعوره ويعيد صياغته من جديد لذلك فإن واقع الصورة يخدم الفكرة لا الجانب الحسي فليس هذا الأخير إلا وسيلة لبلورة الأول وتجليته " (3)

والشاعر الربيع بوشامة بالرغم من اتجاهه الوجداني الانفعالي إلا أن صورته الشعرية تبدت وتقليدية محافظة على رأي محمد ناصر الذي يرى أن " شعراء الجزائر كانوا يتجهون اتجاهها وجدانياً ، ويغلب عليهم الانفعال في الموقف والرؤية ولكنهم ظلوا مع ذلك تقليديين محافظين في صورهم الشعرية يستخدمون الأدوات البلاغية المعروفة والربيع بوشامة أحسن مثل " (4) وهذا الحديث يبقى كلاماً نظرياً إذ لم ندعمه بدراسة تطبيقية تسلط الضوء على الصور الشعرية المتناثرة هنا وهناك في ديوان الشاعر.

هذه الصورة التي كانت معبر خيال الشاعر وأحاسيسه المتدفقة وأفكاره الوطنية

الثائرة ، فهو في وصفه لحالة مجاهد نكل به فمات تحت وطأة التعذيب الشديد

قهرها يقول: (5)

(1) عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياها وظواهره الفنية ، دار العودة بيروت ، لبنان ط 1 ، 1981 ، ص 127

(2) علي البطال ، الصورة في الشعر العربي ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1981 ، ص 25

(3) يحيى الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا ، ص 330

(4) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 503

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 49

لمن الجسم عالقا بالصخور في ذرى الأطلس الأبى الصبور
مذرجا في دمائى الحر تجـري من قروح فواحة وكسـور
بعضها في معارف الوجه والأطراف والبعض في الحشى المبـتور

فالشاعر هنا يروي وقائع حلقة من المسلسل الحزين المطول الذي تعيشه الجزائر وأبنائها جراء سياسة التنكيل، فيصف ذلك الجسد الطاهر عالقا بين صخور الأطلس الأشم، وقد غرق في دمائى نتيجة الجروح والكدمات التي نالت منه من أعلى رأسه

إلى أخمص القدمين ذلك الجسد الطاهر هو جسد المجاهد الشهيد، وهي صورة جميلة يتحول فيها الشاعر إلى قاص لمأساة شعب برمته من خلال هذا المشهد الأليم وجسد الشاعر عزاءه عن هذا في صورة شعرية رائعة تنم عن ثقافته الدينية الأصيلة في قوله: (1)

سر على الدمع والدماء الغوالي يا شهيدا في ذمة المتعالـي
وامتط النور للسماوات تحـذو لك أغاني الرضى وروح الجلال
واترك الجسم للحديد والنيران نهبا مبـعثر الأوصـال

وهي صورة جلييلة ودقيقة أكد الشاعر من خلالها إيمانه الراسخ بأن الجسد نهايته الحتمية هي الموت، وإنما العبرة في الروح التي تسكن ذلك الجسد، هذه الروح الطاهرة، روح الشهيد التي تحيا حياة أبدية في حمى الله ونعيم جناته بعد أن تزفها أملاك السماء في موكب يهتز طربا ونشيدا.

وكما أشرت أنفا فإن صور الشاعر الشهيد، صور كلاسيكية وأحيانا وجدانية

الصورة الكلاسيكية «تقوم عادة على التشبيه والاستعارة ويراعي فيها الشعراء أوجه المطابقة والمثابغة، ولذا كانت في معظمها تتسم بالمنطقية وشدة الوضوح وكثرة التفصيل» (2)؛ لأن الشاعر يرسم صورته من ذاكرته أكثر من رسمها وفق أحاسيسه وهذا ما نجده في قوله: (3)

حيثما سرت في بلاد الجزائر خضت هولا تنشق منه المرائر

(1) المصدر السابق، ص50

(2) محمد زغينة، من شعر شهداء الثورة التحريرية، ص162

(3) الربيع بوشامة، الديوان، ص198

ورأيت المستضعفين ضحايا
ركز الشاعر على التصوير الخارجي فجاءت صورته وصفية تقوم على التفصيل
والشرح والتقرير ، فكأنها لم تنبع من أحاسيس الشاعر ولا تؤثر في المتلقي إلا بقدر
قليل .

أما الصورة الوجدانية فنجدها بكثرة في ديوان الشاعر وبخاصة صور الأمومة
والطفولة و الحنين إلى ذكريات الصبا فيقول مصورا ذكرياته في قرية قنزات: (1)
إيه روح المنقـذ ماذا
هل حفظت الذمام أم قد أبادت
في حناياك من رقي الصبوات
لك أيدي الأحداث كل الصلات

يسرح الشاعر في الماضي سرحات ذكرياتية جميلة تحلق به بين الألم والفرحة
وهو رغم اتجاهه الوجداني لم يستطع التخلص من خصائص القصيدة العربية إذ نجد
"خلطا عجيبا في التصوير ، نجد عنده صوراً متأثرة بالشعر المهجري وجماعة
أبولوا إلى جانبها صور تقليدية محضة تنتفس في أجواء القصيدة الجاهلية " (2)
ولما كانت الصورة الشعرية "علاقة صريحة أو ضمنية بين تعبيرين أو أكثر تقام
بحيث تضيف على أحد التعابير لونا من العاطفة ، وتكشف معناه التخيلي ويتم توجيهه
ويعاد خلقه إلى حد ما ، من خلال ارتباطه أو تطابقه مع التعبير أو التعبيرات
الأخرى ، أو ذلك الجوهر الثابت والدائم في الشعر" (3)
ولعل معظم قصائد الشاعر تزخر بصورة متنوعة من استعارة وتشبيه وكناية
ومجاز وقصيدته "ليت شعري " خير مثال على ذلك: (4)

انظر الدمع والدماء الغوالي
في محيا الجزائر المثكال

ف "صورة الجزائر " كناية تحمل في طياتها تعبيراً صريحا على ضخامة عدد
القتلى فالتكلى هي الفاقدة لوليدها ، والشاعر استعار هذه الصورة من الأم التكلية
ليعبر بها عن الجزائر ، هذه الأم التي فجعت بفلذات أكبادها ، والبيت ذاته يحمل
صورة شعرية تتمثل في المجاز في قوله " الدمع والدماء ... في محيا الجزائر "

فهو مجاز علاقته كلية ، فالدمع والدماء تكون في وجه الساكن بالجزائر فهو إن بكى

(1) المصدر السابق ، ص 144-145

(2) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث ، ص 501

(3) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط 2 ، 1983 ، ص 7

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 65

سيجد من يسليه ويعزيه ؛ لكن الجزائر بكائها ليس له عزاء غير الثورة فيقول : (1)

ذوب أرواح نسوة مؤمنات مهجات لفتية أعزال

مزجت فيه بين حمر وبيض من كبود حرى ومن أوصال

وجرت في الثرى طرائق نور مشبعات من السنا والجلال

يولد الشاعر من القبح جمالا حين يرسم صورا جمالية يبين من خلالها كيف يتولد شعاع النور من دجى حالك ، ويرسم العزة تقهر الذل ، أما الدماء المراقبة فهي رمز للتحدي والثورة والغضب " فاللون الأحمر هجومي ، يرمز إلى القوة والقدرة والصمود " (2)

أما البيض فهي تلك الأرواح الطاهرة النقية المقبلة على الشهادة ، على الحياة في سلام ونقاوة وتلك سمات اللون الأبيض ، ويتعدى الشاعر ذلك ليبعث الحياة في الثرى ، فيلف الحياة النور.

ويخط الشاعر بريشته فضاة المستعمر رمز الظلم والظلام والقهر ؛ لأنه صاحب " شعور حاد يقظ ، شجاع ، جريء الرأي ... صاحب ثقة كاملة بالنفس ... لا يعرف التوسط في مواقفه ... إنه شاعر ثائر هادف ... صادق في فكره وفنه...واع بحاطره " (3) فيقول: (4)

منظر فاجع حوى كل شر من شرور "المستعمر" الدجال

سوف يبقى تمثال ظلم وهضم ملهم الرمز، رائع الأقوال

تنترأى الناس فيه دماء ودموع مشبوبة السيال

في الأبيات تشبيه واضح شبه - فيه الشاعر - فرنسا بتمثال ليس بتمثال الحرية، بل بتمثال الظلم والاستعباد، وجعلها رمز دماء ودموع وانقياد وخضوع.

كل هذه المعاني لم تقبع في زوايا البيوت أو أدراج الخزائن؛ بل سكنت نفس الشاعر فبقيت خالدة خلود التماثيل، فأكدت هذه الصور براعة الشاعر في سبك صوره

(1) المصدر السابق ، ص65

(2) عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنون دراسته ونقده ، ص106

(3) يحيوي الطاهر ، البعد الفني والفكري عند الشاعر الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ، 1983 ، ص 110

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص65

الشعرية الموحية.

والشاعر في قوله: (1)

رأيتك في المنام فهجت قلبي وأيقظت العواطف من رقاد

يبين أن الإنسان حين ينام تختفي مشاعره وعواطفه ، فيرتاح الجسد لكن الشاعر في هذه الصورة التعبيرية المجازية ، أيقظ العواطف من رقاد حين جعل النوم واليقظة متعلقين بالعواطف وهي جزء من الكل وهذا مجاز علاقته الجزئية ، والصورة ذاتها كناية عن الانشغال والتفكير غير المنقطع والدائم بمن يحب ويهوى ، بالإضافة إلى الاستعارة في تشبيهه طيف الإنسان بالإنسان يحرك العواطف ويتحرك فيوقظ من النوم ، فحذف المشبه به المتمثل في الإنسان وأبقى على لازمة من لوازمه (اليقظة والحركة) ليخط هذه الاستعارة.

وفي ذكرى فواجع الثامن ماي 1945 م تبدو صورة الشاعر أكثر روعة وشاعرية لأنها امتزجت بجوانح الشاعر المهمومة ، فيفصح بالإساءة إلى هذا الشهر الذي غدا

عار على جبين الدهر فيقول: (2)

قبحت من شهر مدى الأعوام يا ماي كم فجعت من أقوام

"ومناداة الشهر على أنه يسمع ويعقل فإنه من بداعة الشعر حقا (يا ماي) وقد نشأ عن ذلك امتداد الخطاب إليه من ذلك قوله كم فجعت يا شهر مايو من جزائريين " (3)

فالشاعر في هذا البيت يصرخ في وجه (ماي) كما لو أنه شخص ماثل أمام ناظريه فيمطره هجوا لما يحمل من دم ودموع وذكريات مؤلمة و" الغاية من هذا الدعاء

على شهر مايو هنا في التشنيع والتشهير ، فهو مشؤوم وهو أهل أن يدعو

الجزائريون الوطنيون عليه بكل شر ، على وجه الدهر وينشر التقييح والتشنيع بالقياس إلى هذا الشهر على مدى الدهر الدهير لا ينقطع ولا يزول " (4) ويمضي الشاعر في حديثه عن شهر ماي ، على أنه شخص عاقل على منوال قدماء الشعراء

(1) المصدر السابق ، ص128

(2) المصدر نفسه ، ص58

(3) عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ، ص280

(4) المرجع نفسه ، ص281

ف " يذكر أن الصبيان الذين كانت شعورهم سودا قد ارتدت بيضا ، وأن جلمود الصخر الصلب ارتد مائعا سائلا من شدة أهوالك النازلة ، وكثرة آلامك الماثلة " (1) ومن ذلك قوله : (2)

شابت لهولك في الجزائر صبية وأنماع صخر من أذاك الطامي

يطفح البيت بصورة شعرية رائعة " إذ تتخذ سمة الشيب هنا سيرة الانتشار لأنه يظهر ولا يخفى وحتى في حال صبغه بالسود أو بسواه من الألوان ، فإن ذلك يزيده انتشارا وظهورا ومن العسير إخفاءه عن الناس ، فالشيب ذو معنى انتشاري مثله مثل الأهوال (لهولك) التي حين تلم على شخص أو جماعة تظهر أيضا فلا تخفى فهي منتشرة المعنى " (3)

ومن الأمثلة التشخيصية الكثيرة التي في قصائد الشاعر نجد قوله في قصيدة

يا ساحل المجد هيا اسمع لإنشادي التي يستهلها : (4)

يا "ساحل" المجد هيا اسمع لإنشادي في حسنك المجتلي بوركت من واد
واهزج معي بأغاني الخلد مذكرا أيامك الغر في دنيا "ابن حماد"
خلق الشاعر من الجماد صورة حية معبرة ، وتجاوز ذلك حينما جعل الساحل بشرا
وخلع عليه جملة من الصفات الإنسانية كالسمع والكلام والهزج بالأغاني وتذكر
الأيام الغر ، فالشاعر يسافر على أجنحة ذكرياته هاربا بأحلامه إلى ما مضى من
الأيام مستأنسا بها ؛ لأنها حملت في أحشائها الأمل والحب و الشوق والحنين

فيشخص الساحل ويودعه همومه وشكواه ومآسيه ، وأمله في العيش في كنف الحرية والاستقلال فهذه الصورة الوجدانية "تعددت فيها المجالات نتيجة الطاقات النضرة

والجديدة باستمرار والتي تشع بها الألفاظ " (5) فتتمو الصورة وتتولد ليقول: (6)

(1) المرجع السابق ، ص280

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص58

(3) عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر ، ص281

(4) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص62

(5) نعيم اليافي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ص121

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص62

إيه ربيب العلا أنكيت عاطفتي وهجت بي طربا من سحرك البادي
جمعت كل بديع مبهج خصب من الطبيعة في سهل وأطواد
فالشاعر هنا يشبه الساحل بريبب العلا أي كا لوليد الذي فقد نعمة العيش بين والديه
في ظل أسرة واحدة يسودها الحب والتفاهم والوئام ، وحين يقول: (1)
واغتدت أرض الحمى مقبرة لبني الإسلام والضاد الفجيع
فهو يقدم صورة شعرية تتمثل في التشبيه البليغ ، حين شبه الجزائر بالمقبرة التي
ضمت الإسلام والعروبة ، وهي في الوقت نفسه كناية عن اجتياح الموت لهذه
الأرض الطاهرة.

ونجد الاستعارة في قوله: (2)

ورفعت الرأس للشعب إلى حرم النور وأقداس السماء
وهي استعارة مكنية ، فكأن الشعب جسد يئن ظلما وقهرا فرفع رأسه البطل
عميروش في جهاده وتضحيته وإخلاصه لهذا الوطن ، وأثر هذه الاستعارة " لا
ينشأ عن العلاقات المنطقية بل هو وسيلة شبه خفية ندخل بواسطتها في نسيج
التجربة الشعرية " (3) وبذلك يمكن القول أن الصورة الشعرية عند الربيع بوشامة
صورة رومانسية تغلب عليها سيمة المحافظة لمباشرتها وخطابيتها في موضوعات
لا تمس الذات الشاعرة بصورة مباشرة كالوطنيات والاجتماعيات وسيمة وجدانية
في موضوعات ذات الانفعال العاطفي والنفسي ، وخاصة الموضوعات التي تتخذ
الطبيعة ملاذا لها ، فتسبح في ملكوت الله ورحابه عن طريق مناجاة مظاهر الطبيعة
الخلابة كالبحر والجبل والربيع ، وبذلك أخرج المفردة من موضعها القاموسي إلى
ريحاب التجسيم والتشخيص " فقد أولى عنصر التصوير عناية ملفوظة يمكن القول
معها بأنه قد حقق بعض التطور الفني للقصيدة في الشعر الجزائري الحديث قبل
الاستقلال " (4) والشاعر إلى جانب تمكنه من التصوير البياني ، كان يعتمد الصناعة

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص228

(2) المصدر نفسه ، ص188

(3) محمد زغبنة ، شعر شهداء الثورة التحريرية ، ص305

(4) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص498

الشكلية و" البديع اللفظي ليغطي بذلك تكلفه" (1) ولعل أول لون بديعي يشد الانتباه هو التصريح فقد كان يلزمه في قصائده ومن أمثلة ذلك وحي الذكرى التي يقول فيها: (2)

عيد الهدى والعلا ما كان أحلاكا وما أعز طوال الدهر محياكا
فقد تم التصريح بين "أحلاك ومحياك" وكذا التصريح في قصيدة "فلسطين" (3)
بين "المنطق وصدق" و التصريح يضيف موسيقى داخلية ووقعا مؤثرا.
أما الطباق فقد ورد بصورة أقل ومن أمثله قوله: (4)

لك يا ربي رضا ئي	في قديم وجديد
حلوه ومـره حق	طبيعي سديد
كلنا مبلو نفسي	بمضر ومفيد

لقد تم الطباق في هذه الأبيات بين "قديم وجديد" و"حلوه ومـره" و"مضر ومفيد" وهو طباق الإيجاب، أما المقابلة فلا نكاد نجدها في الديوان وأمثلتها قليلة: (5)

فيسوء المسرور حيناً وحيناً	قد يسر المحزون عدلاً وبراً
إن يكن في الحياة شر وعسر	فلديها خير ونور ويسر

و أثرها إثراء المعنى .

ومن المواضيع التي ورد فيها الجناس قول الشاعر: (6)

إن ما لنفس ما بها من شؤون وشجون مكبوتة جياشة

(1) المرجع السابق ، ص 50

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 36

(3) المصدر نفسه ، ص 53

(4) المصدر نفسه ، ص 156

(5) المصدر نفسه ، ص 202- 204

(6) المصدر نفسه ، ص 225 - 227

وقوله : (1)

لكنني في حال ذي الأدب الأبي حي على الآلام والأحلام

وقد تم الجنس بين "شؤون" ، شجون "وبين" الآلام و الأحلام " ونوعه جناس ناقص
لأنها اختلفت في حرف ، ووظيفته إضفاء نغم موسيقي يسر القلب ويطرب الأذن.

.....
(1) المصدر السابق ، ص127

3- الموسيقى الشعرية

أولى الربيع بوشامة عناية بالغة للجانب الموسيقي في أعماله الشعرية وذلك يتناسب مع وظيفة الشعر في تصويره ، إذ أن وظيفة الشعر في نظره إصلاحية مما غلب عليها النبرة الخطابية المعتمدة أساسا على التنغيم والتطريب ؛ لأن " هذا التنغيم السحري يخلق وحدة نغمية تجعل من الأيسر على الجمع المشترك في التلقي أن يتذوق العمل الشعري تذوقا جماعيا يتفق مع طبيعة إنشائه ووظيفة هذا الإنشاء

... ويوحد التنغيم السحري مشاعر وانفعالات الجمع ، فالبحر المتكرر ، والقافية الملترمة ، قولبا يلتزمها الشاعر والمتلقون جميعا " (1) وإذا جاز أن نشبه الشعر بجسد حي فالموسيقى هي قلبه النابض وروحه التي تفيض شذا وفوحا لذلك فقد

" اعتبر الإيقاع الموسيقي أهم فارق بين فن الشعر وفن النثر " (2)

والشعر لا يكتسب صفه الشعرية إلا إذا توفر فيه عنصران هما الصورة الشعرية والموسيقى ، والصورة الشعرية قد ترد في النثر ، أما الموسيقى فهي خاصة بالشعر دون النثر " فعلاقة الموسيقى والشعر علاقة ترجع إلى طبيعة الشعر نفسه الذي نشأ مرتبطا بالغناء ومن أنهما يصدران عن نبع واحد وهو الشعور بالوزن والإيقاع " (3) والشعر رغم توفره على عناصر فنية كثيرة تميزه إلا أن الموسيقى الشعرية تبقى قمة هاته العناصر الجمالية ذلك أن للشعر " نواح عدة للجمال لكن أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر " (4)

والموسيقى الشعرية لا تشيع في الكلمات والألفاظ فحسب وإنما تتجسد بصورة جلية في البحر والروي ف " الموسيقى التي نعنيها هنا ليست هذه التي تكون في الألفاظ والكلمات فحسب وإنما هي التي تكون في البحر المختار والروي المناسب " (5)

والحق أن الدراسة الموسيقية تتضمن جانبين :

(1) بدر الدين ، من مقدمة ديوان الناس في بلادي لصالح عبد الصبور ، دار الأدب ، بيروت 1957 ، ص 10 ، نقلا عن الشعر الجزائري الحديث لمحمد ناصر ، ص 192

(2) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 421

(3) شكري محمد عياد ، موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1956 ، ص 53

(4) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1972 ، ص (8 - 9) نقلا عن شعر الثورة عند مفدي زكريا للشيخ يحيى صالح ، ص 293

(5) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ص 192

أ- الموسيقى الخارجية

ب- الموسيقى الداخلية

وهذا يستدعي دراسة كل جانب على حدا .

أ- الموسيقى الخارجية

لما كان الشعر هو ذلك الكلام الموزون المقفى ، كان من الضروري تلمس وتذوق الموسيقى الخارجية التي تشع فيه والتي تقوم أساسا على اختيار البحر والقافية والروي المناسب ، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بمشاعر الجمهور فتخلق انسجاما واسعا وأهمية عظيمة "وبصفة عامة فهناك الموسيقى الخارجية ووسيلتها الأوزان والبحور" (1) والشاعر الشهيد لم يشذ عن معاصريه في التمسك بنظام القصيدة العربية العتيقة وذلك بالنسج على النهج السائد ذي الشطرين المتكافئين والتزام القافية الواحدة ، والروي الواحد وإطالة القصيدة والعناية بالمطلع والحرص على تصريعه " (2) وهذا ما يؤكد محمد ناصر في قوله " لعل أبرز ما يلفت نظر الدارس للشعر الجزائري الحديث محافظته الشديدة على القصيدة العمودية ، والتزامه الواضح بالإيقاع المعتمد على الوزن الرتيب والقافية المطردة في جل الأعمال التي ظهرت قبل الخمسينات تحت تأثير عوامل وظروف معينة من أهمها انطواء أغلبية الشعراء الجزائريين تحت لواء حركة إصلاحية محافظة كانت ترى في الحفاظ على القصيدة العربية بشكلها التقليدي حفاظا على مقوم من مقومات الشخصية العربية الإسلامية ، ولعلها كانت تعتبر ذلك وجها من وجوه المقاومة للاستعمار الغربي الدخيل " (3)

ومن حيث إطالة القصائد ، فقد جرى الربيع بوشامة القدماء ، إذ تحتل القصائد المطولة لديه 90 % من مجموع أشعاره ، وأمثلة ذلك في الديوان كثيرة نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر قصيدة " أبواق الاستعمار " التي بلغ عدد أبياتها 62 بيتا من الشعر و " يا فتى الأوطان " وعدد أبياتها 68 بيتا وكذلك (أيها الصقر ، ذكرى بن باديس وفي سبيل العلم) جميعها تتجاوز الخمسين بيتا .

واعتمد الشاعر في بناء قصائده على نظام " وحدة البيت " على غرار شعراء

(1) يحي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا ، ص295

(2) عمر الدقاق ، ملامح الشعر المهجري ، منشورات جامعة حلب 1973 ، ص322

(3) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص191

العرب القدامى ، فلنا أن نقدم أبيات أو نؤخر أخرى دون أن يخلق ذلك خلافاً في القصيدة ، "عدا بعض القصائد التأملية أو المدورة والتي قد نجد فيها شيئاً من نظام قصيدة الوحدة العضوية " (1) وربما يعود هذا لتأثر الربيع بوشامة بأعلام المدرسة المهجرية وبعض المجددين ولاسيما أبو القاسم الشابي

إلا أن هذه الظاهرة تختفي في معظم إنتاجه ؛ لأنه شاعر قضية أكثر منه شاعر فن فالشعر في نظره "مظهر من مظاهر الشخصية العربية وعامل من عوامل الدعوة إلى الإصلاح " (2) فكان شأنه في ذلك شأن الشعراء الجزائريين المحدثين الذين غلبت عليهم النظرة التقليدية في التشكيل الموسيقي على النظرة الحديثة للشعر " (3) ومن مظاهر المحافظة العروضية في ديوان الشاعر التزامه بمبدأ القافية، وهي في أغلب قصائده "مطلقة إذ تبلغ نسبتها حوالي 92,23 % بينما المقيدة فتساوي حوالي 7,77 % " (4)

أما من ناحية الحروف الواردة روياً فإننا نجد "الحرف الأول الذي استعمل كثيراً عند الربيع بوشامة هو حرف "النون" بلغت نسبته 11,33 % وبعده حرف "الراء" بنسبة 9,33 % يليه حرف "الميم والذال" بنسبة 8 % و اللام بنسبة 7,33 % أما حروف الهاء ، الكاف ، القاف ، فإن نسبة ورودهم لا تتعدى 2 % ثم تكون الحروف الأخرى بنسبة ضئيلة لا تكاد تذكر وهي الحروف التالية (ش ، ع ، ز ، الحاء) " (5)

واختيار الروي المناسب دليل على قدرة الشاعر وتميزه في الربط بين الموضوع والروي ربطاً منسجماً " فالشاعر المبدع حقاً هو الذي يحس بفطرته الفنية في جريان الموسيقى في أبياته حين يختار اللفظ، والكلمة والوزن و الروي المنسجم مع موضوعه " (6)

والمتمثل في النسب السابقة يكتشف أن الشاعر الشهيد اختار لقوافيه الحروف

(1) محمد زغينة ، شعر شهداء الثورة التحريرية ، ص187

(2) المرجع نفسه ، ص187

(3) المرجع نفسه ، ص187

(4) المرجع نفسه ، ص196

(5) المرجع نفسه ، ص197

(6) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص193

المحبة للنفس ، والأكثر شيوعا في الأدب العربي ولا سيما حروف : " النون ،
الراء ، الدال الميم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذه الحروف لها مميزات
صوتية لكل حرف فالنون مثلا حاملة لألوان الصراخ و الزعيق ، والرفض
للمستعمرين " (1)

واختياره هذا لم يكن من قبيل الصدفة وإنما هو نابع من غور وجدانه الوطني الثائر
أما حرف الراء فوروده بنسبة 9,33 % " لأنه من الحروف الدالة على المفارقة
الأيمة بين الحالتين " (2)

خيم الألم والعذاب على نفس الشاعر وأشعاره نتيجة للوضع السائد آنذاك في
الجزائر مما يستوجب حروفا ذات أصوات قوية ومدوية ، ومتقاربة المخرج كالنون
والميم والراء والدال " زيادة على ما لهذه الحروف من تنغيم وغنة مما يعطي
للقصيدة إيقاعا موسيقيا بنبر وتنغيم " (3)

أما حروف الهاء والحاء والقاف فهي حروف مهموسة ، تصور نفسية الشاعر
المتعبة والكنيية ، فالتشكيل الموسيقي عند شاعرنا " خاضع للحالة النفسية مباشرة
أو الشعورية التي يخضع لها " (4) من ناحية أخرى فإن " هذه الحروف لتكون
قافية له ما يبرره من الناحية الإيقاعية " (5) فالشاعر يميل إلى الإطلاق أكثر من
التقيد لذلك اختار هذه الحروف بسبب " خاصية التصويت فيها لأن القافية تقوم على
أساس صوتي " (6)

واستخدام هذه الحروف بعينها يشكل لونا موسيقيا خاصا بالشاعر إذ " تعد ظاهرة
إيقاعية متميزة لدى الشاعر ؛ لأنها مبنية في الغالب الأعم على الجانب الصوتي
الإيقاعي لهذه الحروف " (7)

(1) مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف الإسكندرية ، ص 37

(2) المرجع نفسه ، ص 37

(3) أحمد كشك ، النبر والتنغيم ، من وظائف الصوت اللغوي ، مطبعة المدينة ، جامعة القاهرة ، مصر ط 1983 ، ص 54، 55

(4) عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، 1967 ، ص 63

(5) محمد زغينة ، شعر شهداء الثورة التحريرية ، ص 198 – 199

(6) محمد العلمي ، العروض والقافية ، دار الثقافة الدار البيضاء المغرب ن ط 1983 ، ص 184

(7) المرجع نفسه ، ص 199

إلى جانب ما سبق قوله لنا أن نستنتج أن الشاعر لم يستخدم في رويته الحروف التي يصعب نطقها مثل : الذال ، والعين ، والحاء ، والشين ، والطاء ، والواو مما يؤكد أن الشاعر " ملتزم بشروط الحروف التي ترد رويًا ، ومن ذلك التزام حرف قبله في جميع أبيات القصيدة " (1) وهذا دليل آخر على وعي الشاعر بالثقافة العروضية التقليدية .

ولما كان الشاعر الربيع بوشامة ملما بالعروض ، فقد تنوعت قصائده الشعرية موزعة على البحور بالنسب الآتية " الخفيف 92 ، 35 % والكامل 18,44 % والبسيط 13,95 % والرمل 11,65 % والطويل 06,79 % والمتقارب 02,91 % والوافر 0,97 % و الرجز 0,97 % مما يدل على أن الربيع بوشامة يميل إلى المزاجية بين البحور المشهورة التي نظم عليها القدماء ، والبحور التي شاعت عند المحدثين وبخاصة التي يغلب عليها الإيقاع الخفيف الرتيب فهو من هذه الناحية يمكن أن يصنف ضمن المدرسة المحافظة الجديدة ، أو ما يسمى المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، إذ نظم على بحور لم ينظم عليها عبد الكريم العقون كبكر البسيط مثلاً (2) ولجوء الشاعر إلى البحر الخفيف بنسبة عالية يعود إلى "أن الشاعر يميل إلى الإيقاع الخفيف الحزين ؛ لأن هذا البحر أكثر البحور استعمالاً في حالات الحزن " (3) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى " فقد عرف البحر الخفيف برشايقته وخفته في الذوق والتقطيع وتميز موسيقاه بوقعها النازل الذي يتناسب مع الموضوعات الذاتية وتوافق إيقاعه مع المشاعر ذات طابع الأسى الحزين ، ومواطن التذكر والترجيع والشجن " (4) وأهمية البحر الخفيف جعلته يحتل الصدارة في قصائد الشاعر فهو من " أهم بحور الإنشاد ، إذ تكثر فيه السكون مما يساعد على أن تتنشق أنفاسه مع حركات هذا البحر... وإيقاعه يبعث نشوة فيه ، ويجد فيه وسيلة التعبير عن انفعالاته الحادة اتجاه قضايا وطنه " (5) وخير دليل على ذلك قصيدة اعمل النار و الضبي في الأعادي (6)

مستحر ومرتمي أكباد

كل دنياه ثورة وقتال

(1) المرجع السابق ، ص 199

(2) المرجع نفسه ، ص 193 - 194

(3) مصطفى حركات ، كتاب العروض ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغبة الجزائر ، ص 72

(4) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 254 - 255

(5) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 3 ، 1965 ، ص 17

(6) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 220

ودماء فواحة ومنايا

تترأى في يقظة ورقاد

تضج الأبيات بمشاعر الثورة التي وجدت في أمواج بحر الخفيف ركابا لها وتنفيسا

لبعضها والبحر نفسه نجده في قصيدة مبعث النور: (1)

مبعث النور في ذرا الأوطان حسبك الله نم بكل أمان
واطعم الراحة الهنيئة سعيدا في قبرك المزدان

و يأتي في المرتبة الثانية بحر الكامل، ويعود هذا إلى أن الكامل من البحور الصافية والصالحة للتكرار والتي تليق بحالة الشعراء الذين يعيشون المأساة؛ لأن نبضات القلب تزيد كثيرا مع الانفعالات النفسية... فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس ونبضات قلبه حين يتملكه السرور سريعة يكثر عددها في الدقيقة ... ولكنها بطيئة حاسمة (2) وقد نسج الشاعر على هذا البحر قصائد يمكن إدراجها تحت الطابع الوطني القومي إذ يقول في ذكرى فواجع ماي: (3)

قبحت من شهر مدى الأعوام يا (ماي) كم فجعت من أقوام
شابت لهولك في الجزائر صبية وأنماع صخر من أذاك الطامي

وبعد بحر الكامل نجده استعمل البحر البسيط لأنه يتماشى مع المواضيع الوطنية والقومية كقوله في قصيدة حي البطولة: (4)

حي البطولة في حزن الدم القاني وأبك الدموع... ذوب وجدان
هذا إبنك الحر في ساح الجهاد قضى هذا على الحمى ممدود جثمان

وهذا البحر ينسجم مع الموضوعات العظيمة ذات الطابع التأملي الذي يرمي إلى

استخراج العبرة كالنظر والتفكير في الكون والحياة والوجود، كما يتناسب واستنهاض الهمم وبعث الحس الوطني ودفع العمل القومي، كما كانت مناسبات

الرثاء فسحة لاستنطاق إيقاعات البحر البسيط ولاسيما إذا كانت ذات طابع جماهيري .

(1) المصدر السابق ، ص 219

(2) ينظر ، إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص 175

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 58

(4) المصدر نفسه ، ص 64

كما وظف بحر الرمل في عدد من قصائده ولاسيما أناشيد الثورة مثل (أيها الصقر
المجلى في العلا ، أرني حسنا ، ابنة العرب ، إيه يا شادي حنانيك ، وقل لمن يبغي
السفور) وفي هذه الأخيرة يقول: (1)

قل لمن يبغي السفور وعلى العاد يثور
ويرى دون حياء كشف سوق وصدور

و استعمل البحر الطويل وهو "الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره
ويتخذونه ميزانا لأشعارهم ولاسيما في الأغراض الجلييلة الشأن " (2) ولكن استعمله
في قصائد قليلة، ونظم على بحر الرجز الذي يتواءم مع المواقف الوعظية من جهة ،
ومن المناسبات التي يتسارع فيها نبض القلب كموضوع الغربة في أخي إليك
سلامي (3) وتعظيم الشهيد في مرعى علوات إلى السماء ، وهو في موقف حماسي
غاياته بث الروح الوطنية الثورية وبعث النزعة القومية كما في خراطة وعجبا
لوجهك كيف عاد لحاله.

واستخدم الشاعر بحورا أخرى كالوافر والمتقارب بنسبة ضئيلة لا تكاد تتجاوز
القصيدة أو القصيدتين لكل بحر ، وإن أسهبنا الحديث فيما سبق عن القافية ؛ فلأنها
على درجة كبيرة من الأهمية لذلك ارتأيت العودة لها "فتكرارها يعد جزءا هاما من
الموسيقى الشعرية ، لأنها بمثابة فواصل موسيقية يتوقع السامع تردها ، وتسمع
الأذن بها في فترات زمنية منتظمة " (4) وكما التزم الربيع بوشامة في أشعاره وحدة
الوزن ، فقد حرص على وحدة القافية والروي ، وهذا راجع لثراء لغته وأصالته فكره
والتزامه ببناء القصيدة التقليدية .

واعتمد الشاعر على المد في القافية قبل الروي وبعده ، وهذا " المد يعطي المنشد
فرصة لاستغلال موهبته الصوتية في الإنشاد استغلالا ينشر في الجو ضجة وجلبة
شديتين " (5)

(1) المصدر السابق ، ص 231

(2) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر العربي ، ص 191

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص 226

(4) زبيري دراقي ، عبد الله اللطيف شويخي ، محاضرات في موسيقى الشعر العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،
1998 ، ص 160

(5) كمال عجالي ، أبو بكر مصطفى بن رحمون ، حياته وأثره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1991 ، ص 303

كما يظهر ذلك في قصيدة الشاعر رب أنثى: (1)

نهضة الشعب من جميع بنيـه
رب أنثى أجرت عليه انقلابا
وارفع الستر عن محياك بشرف
كالقمير الوضاء شق السحابا

و نلاحظ استخدامه نفس الروي المطلق في مثل قوله: (2)

وفد يتم الشعب المهان بقوة
ورفعتموه إلى أعز مقام
وكسوتموه لباس عز باذخ
وكرامة ومباهج الأنعام

وعلى العموم يمكن القول أن الشاعر من ناحية التشكيل الموسيقي كان محافظا أكثر منه مجددا ، ورغم ذلك استطاع أن يخلق انسجاما موسيقيا ، ويخفي جوا تتراقص فيه الأنغام العذبة المنبعثة من أشعاره فكان ديوانه تأشيرة عبور لأعماق نفسه وأغوار روحه .

ب- الموسيقى الداخلية

تعد الموسيقى الداخلية "موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمها التكرار، تكرار كلمات معينة أو متشابهة أو حرف أو حروف معينة متحدة المخرج أو متقاربة أو ذات صفة جرسية واحدة" (3) أي أنها تركز على انتقاء الكلمات بحسب المعاني التي تلائمها والتي تتفق والحالة الشعورية للشاعر، فوظيفة الشعر الأساسية " أن تهيء للألفاظ نظاما ونسقا ، وجوا يسمح لها بأن تشع أكبر شحناتها من الصور والظلال والإيقاع ، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها مع الجو الشعوري التي تريد أن ترسمه" (4)

والربيع بوشامة إلى جانب اهتمامه بالتصوير اللفظي ، اهتم بالتصوير الحسي "إذ يربط بين الموسيقى وبين الشعر ، ولا يقف عند التصوير الحسي وإنما يحاول أن يقدم لوحة فنية من التلوين الجمالي كما يراه البلاغيون سابقا ، ورواد النظرة الجمالية في الأدب حاليا" (5) فالشاعر وطني انتقى لشعره ألفاظا وكلمات ذات رنين موسيقي

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص69

(2) المصدر نفسه ، ص226

(3) يحي صالح ، شعر الثورة عند مفدي زكريا ، ص294

(4) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص237

(5) أحمد دوغان ، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، ص

قوي لذلك نجده وازن بين الكلمات والحروف التي تظهر نفسيته الحزينة المتألّمة تارة ، والوطنية الثائرة التي تتن في رحاب القومية المقهورة تارة أخرى ، فنجد حروف الصفير كالسين ، والصاد ، والزاي ، متناثرة هنا وهناك في ثنايا الديوان كقوله في قصيدة لمن الجسم عالقا بالصخور : (1)

لمن الجسم عالقا بالصخور	في ذرى الأطلس الأبى الصبور
قتلوه بالغدر أو العسف صبورا	ثم ألقوا من حالقا في الصخور
حسب المجرمون ذلك يـزري	بالفتى الشهم و السراج المنير
مزدهى النفس من دوي رصاص	في رؤوس الأعزل أو في الصدور

فتكرار الحروف مثل السين والصاد والزاي في هذه المقطوعة ينم عن عناية الشاعر باختيار الألفاظ والكلمات ذات الرنين الموسيقي الخاص التي تكشف عن ذات الشاعر المتألّمة و الحزينة على سقوط ذلك الشهيد الأبى في قمم الأطلس الأشم بعد أن سيم سوء العذاب .

فالشاعر يملك ميزة "تتجلى في الاختيار والانسجام والتناسب بين الألفاظ ذات الرنين والواقع الخاص بمراعاة ما بينها من ائتلاف وتجانس صوتي " (2)

و في قصيدة (شجون مكبوتة) نجد الشين رابطة في عجز جميع أبياتها ناهيك عن انتشارها هنا وهناك: (3)

وشجون مكبوتة جياشة	إن ما لنفس ما بها من شؤون
طال إيمانها عليها وأخشى	أن تلاشى في نارها كالفراشة
إن في التفكير العقيم عذابا	واصبا قد يؤدي لباقي الحشاشة

هذه الشين في آخر الأبيات وفي متن القصيدة شكوى إنسانية عارمة يهتز بها كيان الشاعر في رحاب تأملية فسيحة ، وتلك هي سمات حرف الشين الذي ينسجم مع نفسية الشاعر وشجونه " هذه الموسيقى هي التي تمثل بحق روح الشاعر وفنه

(1) الربيع بوشامة ، الديوان ، 49

(2) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص197

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص225

لأنها أثر لكل العناصر المتجمعة في الشعر من عواطف ، ومشاعر وأفكار وأخيلة
لأنها تعبر عن الصدق في الإحساس والأصالة في الفن " (1)

و "حييت يا ليبيا الشماء" هي واحدة من القصائد التي نظم فيها الشاعر مشاهد
العرس العربي الكبير على إثر استقلال ليبيا ، ووجد فيها تنفيسا لنزعتة العربية
القومية فقال: (2)

يا حادي المجد مفراحا بأوطار	طف بالبشائر من دار إلى دار
وانظم مشاهد أعرس بكل حمى	وارفع منارات أعلام وأنوار
واجمع بني جنسك الأبى في حرم	مكهرب الجو هزاز للأوتار

فالشاعر اهتز طربا وفرحا لهذه المناسبة السعيدة لذلك فإن "إيقاع الحروف
والتراكيب يشع جوا موسيقيا مطربا ، يملأ النفس غبطة وفرحا وذلك ما يتماشى مع
الموضوع الذي كتبت من أجله المقطوعة وهو وصف إحدى المناسبات السعيدة" (3)
أما إذا كان الموضوع مغايرا "يستوجب الصرامة والجد ، ويتطلب لهجة حازمة
حاسمة فإن جرس الألفاظ والكلمات أيضا يستطيع أن يشيع أمثال هذه المعاني فتحس
بها وهي تقرر السمع بإيقاعها المجلل وتملأ النفس بمعاني القوة والجزالة " (4) كما
ورد ذلك في هذه المقطوعة التي يستنهض فيها الشعب ليثور على الغاصبين
فيقول: (5)

اعمل النار والظبي في الأعادي	إنما هذا اليوم يوم الجهاد
وانشر الهام والجسوم وأوصال	العدا في الهول و الأطراد
واسكب الدم الحر يجرى	ههنا وهناك في كل وادي

فالجرس الموسيقي في هذه المقطوعة يوحي بمعاني الاندفاع والقوة والحماسة
فالذال صوت انفجاري يتلاءم مع انفجار الثورة في كيان الأمة الجزائرية كما يتفق
مع نفسية الشاعر الثائرة ، أما الرأء " فكثيرا ما تشيع في أعماق النفس ظلالة نفسية

(1) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص197

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص70

(3) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص195

(4) المرجع نفسه ، ص195

(5) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص220

فهي الشعور بالفخر والاعتزاز⁽¹⁾ مثل النار، انشر ، الأطراد فهذه المواقف الثورية الصاخبة تتناسب مع لغة الرشاش ودوي المدافع لذلك يلتزم باستعمال الأحرف الانفجارية كالباء

فهذه الحروف الانفجارية تعكس الحالة النفسية للشاعر التي تخترق عالم الذل والاستعباد لتدخل عوالم عنوانها الثورة .

وما يجدر ذكره في هذا المقام ورود ظاهرة التدوير في الشاعر ولا سيما في أناشيده وهي ناجمة عن انشطار اللفظة بين شطري البيت الواحد ، والتدوير أداة من أدوات صنع القصيدة والحفاظ على عضويتها وانسجامها كما يقضي بذلك الأستاذ عبد العزيز لعكاشي وهذه الظاهرة لا يوردها الشاعر بصورة عفوية بل لغايات في نفسه كلفت انتباه المتلقي إلى محتوى أفكاره ونوع أحاسيسه ، كما قد يرد عفو الخاطر استحبابا مع اللفظة البسيطة كقول الشاعر: (2)

إيه بالله يا ربيع حديث النـور	والزهر والهوى المدفـون
هات من غرك العذب أفانيـن	جمال لمغرم مستكيـن
تفتن الذهن عن روائع فن	من غناء عذب وشعر رصين
طالما كنت مصدر النور والإلهام	فيك ازدهرت أرق "الفنون"

فنفس الشاعر تتاجي الربيع ، عالم الجمال ومهوى الهوى الدفين " ولهذا كان الشعر المدور أصلح أشكال التعبير عن التجارب التي تتنال فيها الخواطر والصور والإيقاعات النفسية والموسيقية داخل أعماق الشاعر " (3) فلهذه الظاهرة طلاوة ووقع مؤثر في النفس .

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أنوه بالمحاولات التجديدية التي قام بها الشاعر الشهيد والتي غزاها من التراث ، المتمثلة في المسمطات وهي لون من ألوان الأوزان غير خليلية فهي " أن يبتدأ الشاعر بيتا مصرعا ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافية ثم

(1) محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص196

(2) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص131

(3) إبراهيم رماني ، اوراق في النقد الأدبي ، دار الشهاب باتنة ، الجزائر ، ط1 1985 ، ص 132

يعيد قسما واحدا من جنس ما ابتداء به ، وهكذا إلى آخر القصيدة " (1) وإذا تأملنا ديوان الشاعر الشهيد فإننا نجد نوعا من المسمطات ومن ذلك هذا المسمط الذي يلتزم في الشطر الأول والثاني والرابع قافية واحدة ورويا واحدا وينوع في قافية الشطر الثالث إذ تختلف عن قافية وروي الأشطر الثلاثة الأخرى وتكون كالآتي :

أ _____ أ _____
ب _____ أ _____

" وتسير على منوال الثنائيات إذ لا تتفق أعمدة المسمط فهي تختلف من ثنائية إلى أخرى ومن ذلك قول الربيع بوشامة في مسمط على بحر خفيف يبلغ عدد أبياته 218 بيتا " (2) يقول: (3)

جاء سوقا من أكبر الأسواق رغبة في الترويح والاسترزاق
ولجبنيه ولدة النجاء في الصباء الغض والسنا الرقاق
صبته كالزهور في الروضات أو كأملأك الخير في الجنات
أنبتتهم أعراق شعب كريم وغذتهم بالنور والطيبات

وهكذا يسير هذا المسمط الذي ينوع فيه قافية الشطر الثالث المغاير في القافية والروي للأشطر الأخرى على المنوال التالي :

أ _____ أ _____
ب _____ ن _____
ج _____ ج _____
د _____ ر _____
هـ _____ ا _____
و _____ د _____

(1) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ص176

(2) محمد زغبة ، شعر شهداء الثورة التحريرية ، ص201

(3) الربيع بوشامة ، الديوان ، ص193

وإذا حاولنا تتبع هذا النوع من المسمط فسنجد الشاعر قد نظم فيه المطولات مثل

قوله: (1)

حي في العرب عزة الفتيات وارع فيهن حرمة الأخوات
وابن للشعب خير جند عتيد من بنات حرائر طبيبات

كما نظم المقطوعات من مثل مقطوعته المكونة من أربعة أبيات الموسومة

ب " استقم ولا تنها لك " (2) وكذلك في " الحشا منك يا فلسطين " (3) " وهو اللون من المسمط لا يكون عنده إلا على بحر الخفيف كما أن مضمونه إنشادي وطني إذ يمكن إدراجه في الأناشيد الوطنية " (4) كما نجد أنواعا أخرى من المسمطات ولكن ما أخذناه سابقا للتمثيل لا الحصر .

ومن هنا يمكن القول أن الربيع بوشامة " حاول التجديد في إطار العروض الخليلي دون الخروج عن الأوزان المعروفة ، ولكن في إطار البحور ذات التفعيلة الصافية مثل بحر الخفيف الذي ينظم الشاعر كثيرا فيه ، وبذلك يكون محافظا أكثر منه مجددا لأن هذه القوالب (المقارب ، الكامل ، الخفيف) مألوفة في أغلبها في الشعر الأندلسي والشعر المهجري خصوصا " (5)

أبدع الشاعر ديوانه مستندا إلى النظام الخليلي مركزا على البحور التي استعملها المهجريين ، فسبك قصائده بما يناسب مضامينها وما يتلاءم وحالته النفسية .

6- أما الصورة الفنية في أشعاره فقد كانت صورة تقليدية محافظة كتلك المعروفة في البلاغة العربية القديمة ، فرغم اتجاهه الوجداني إلا أنه يستخدم التشبيه والاستعارة والكناية في صور محسوسة في غالب الأحيان ومع ذلك فشعره لا يخلو من تلك الصور الفنية الموحية المستقاة من رومانسيته

(1) المصدر السابق ، ص 248

(2) المصدر نفسه ، ص 246

(3) المصدر نفسه ، ص 239

(4) محمد زغينة ، شعر شهداء الثورة التحريرية ، ص 203

(5) المرجع نفسه ، ص 205 – 206

وبعد هذه الرحلة ها هي نهاية المطاف تبرز بهذه الصورة المتواضعة وما ذلك إلا بفضل الله سبحانه وتعالى .

لقد كان الإبحار في أعماق الأدب الجزائري بمعية شاعرنا الشهيد " الربيع بوشامة"

مشوارا محفوفًا بالصعوبات والعقبات ولا سيما شعره الوطني والوجداني الذي يعد بحرا لا ساحل له ، فكلما غاص الباحث في أعماقه وحاول كشف أغواره ، تجلت له لآلئ رآها أنفس وأجمل بل وأجدر بالاهتمام ، إضافة إلى تعدد نقاط التقاطع والالتقاء بينها ، وتشعب خطوطه العريضة وتداخلها ، غير أنني لم أتهاون أو أقصر في استقصاء كل ما له علاقة بموضوع بحثي ويخدمه ، وهنا دعوة مني لطلاب العلم والغيورين عليه لمواصلة مسيرة البحث والاستكشاف ، والتطلع إلى آفاق المعرفة لدراسة الإنتاج الجزائري والغوص في أفكاره والاغتراف من معانيه قدر ما سمح به الزمن ، ولقد توصلت من خلال دراسة هذا الموضوع " شعر شهداء الثورة الربيع بوشامة أنموذجا " لجملة من النتائج المتمثلة فيما يلي :

1- الشاعر الشهيد الربيع بوشامة من الشعراء الذين حملوا الجزائر في أفئدتهم وحلقوا بها في فضاءات فسيحة ، وناضلوا في سبيل حريتها ، وكان في طليعة من نصرها بالسلاح والقلم ، إذ كان ملتزما بقضايا وطنه الأصغر الجزائر ووطنه العربي الكبير ، فعبر عن حبه لوطنه حين جعل شعره منبرا للإصلاح واستنهاض الهمم وبث الروح الوطنية ، وحين صور جمال الجزائر وخلد بطولات ومآثر المجاهدين وعظم الشهداء هنا في أرض الجزائر وهناك في المغرب والمشرق العربيين .

2- لقد كان الربيع بوشامة شاعرا وطنيا ثائرا ، وطنيته استمدها من حبه للجزائر التي ملكت عليه قلبه وسلبت لبه وحركت وجدانه ، فراح يعبر عن آماله وآلامها أرسل نظره الثاقب فتنبأ بالثورة وهي في مخابئ الغيب وحمل لواءها في أشعاره وكفاحه المسلح ونضاله السياسي ، فجاءت قصائده صور صادقة عن الثورة والكفاح.

3- الشاعر وجداني رومانسي، قصائده شقيقات من روحه، تجود بها قريحته من حين إلى آخر، فتحدث عن شوقه إلى الأحبة والغد الزاهر والحنين إلى الأيام الخوالي والعهود السالفة، عهود المجد والسودد كما ورد في قصيدة يا ساحل المجد.

4- حرص الشاعر على تمتين الوشيجة التي جمعت الجزائر بالعالم العربي فكان على اتصال دائم بما يستجد في كيان الأمة العربية والإسلامية ، فالشاعر ينتفض غضبا وعنفا كلما لاحت في الأفق تباشير الظلم والطغيان لتنهش جنبات وطننا العربي ، وتعمق جراحه، ولا سيما جرح العرب الأوحـد الذي تجسد في مأساة فلسطين هذا من ناحية ، ومن ناحية نرى الشاعر يهتز فرحا وطربا إذا حلت مواسم الأعياد والأفراح ولا سيما أعياد الحرية والأخوة ، كتغنيـه باستقلال ليبيا وترحيبه بجنود النيل في أرض الجزائر.

5- ومن خلال البعد الفني تمكنت من التعرف على خصائص لغة الشاعر التي لم تبعد كثيرا عن الخصائص اللغوية للشعر العربي القديم ، بالرغم من الحس الوجداني المرهف والهامس في نفس الوقت ، ويعود هذا إلى أن الشاعر استعمل في قاموسه الشعري مفردات من القرآن الكريم والتراث العربي القديم كونه مثقفا ثقافة عربية إسلامية محافظة ، واللغة في شعره تتراوح بين المستوى السطحي الذي يستخدم فيه الألفاظ بمعناها المعجمي وبين المستوى الوجداني العميق الموحى والمعبر عن نفسية الشاعر وقد كان ملاذ لغته الطبيعة الهادئة بعذوبتها ورقتها ، وقد يجتمع هذين المستويين في مستوى واحد . التشكيل الموسيقي لأشعاره ، فإن معظم شعره نظم في قالب البحور التالية الخفيف ، والكامل ، الرمل ، البسيط ، لما فيها من إيقاع ولمناسبتها مع شطحات روحه وملاستها لنبضات قلبه ، كما التزم وحدة القافية والروي في أغلب أشعاره .

وخلاصة القول أن الشاعر الشهيد الربيع بوشامة ثائر متمرّد ، كان عنوان صادقا عن آمال الأمة وآلامها ، وأصبح وهو شهيدا معنى مقدسا من معاني المجد والسؤدد والخلود .

تلك مجمل النتائج والملاحظات التي استنبطها من هذا البحث ، ولست أدعي أنني منحت موضوعي حقه الكامل وألممت بجميع حيثيات الموضوع بل ما بحثي هذا إلا لفئة متواضعة ومختصرة لشاعر جزائري سقط من يد الشعر سهوا ونسيانا ، لم ننصفه ولم نقره حق قدره رغم أن شـمـعته انطفأت في ربيع العمر لتنتير شموع الجزائر ويشرق فجر غد جديد عنوانه الحرية والاستقلال .

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتمنى أنني أـلمـمت ولو بشيء بسيط في هذا البحث واستفدت وأفدت وكل ذلك بعون الله وأستاذي المشرف " الدكتور محمد زغينة " وكل من مدوا إلي أيدي المساعدة وأرجوا أن تكون دراستي حافزا لدرسات أخرى تتخذ هدفا لها بعث وإحياء بعض الأسماء التي طواها النسيان وعتم عليها الغبار ،وتلك أعظم هدية نقدمها لأمثال هؤلاء الشهداء العظماء من شعراء وأدباء .

وفي ختام هذه الرحلة أؤكد أنني استمتعت طيلة إنجاز بحثي ، حيث أدركت قيمة كل ما كتبت ، ويبقى أمني أن تتاح لي الفرصة من جديد لأغوص في بحور الأدب التي تفيض بمعارفها وإحساساتها وخواطرها .

- القرآن الكريم برواية ورش

أولا - المصادر

- 1 - الربيع بوشامة ، الديوان ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ، الرويبة ، الجزائر ، ط ١ ، 1994
- 2 - أبو القاسم الشابي ، ديوان " أغاني الحياة " ، الدار التونسية للنشر
- 3 - محمود درويش ، م 1 ، ط 6 ، بيروت 1987
- 4 - مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، المكتب التجاري ، بيروت ، 1961

ثانيا - المراجع

- 1- أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الحديث ، منشورات دار الادب ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1966
- 2- أحمد دوغان ، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د ، ط) 1989
- 3 - أحمد كشك ، " النبر والتنغيم " من وظائف الصوت اللغوي ، مطبعة المدينة وجامعة القاهرة ، مصر ، ط 1 1983
- 4- أديب نصوص ، وطنيون وأوطان ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1
- 5 - أنس داود ، التجديد في شعر المهجر ، وزارة الثقافة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة
- 6 - أنيسة درار بركات ، أدب النضال في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د ، ط) ، 1984
- 7 - إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط 3 ، 1965
- 8- إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991
- 9 - إبراهيم رماني ، أوراق في النقد الأدبي ، دار الشهاب باتنة ، الجزائر ، ط 1 ، (د ، ت) ، 1985
- 10- ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج 1
- 11 - إلبا الحاوي ، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، 1983
- 12- إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1995
- 13- إلياس فرح ، تطور الإيديولوجية العربية الثورية ، (الفكر القومي) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- 14 - جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط 2 ، 1983
- 15 - جون كوين ، بناء لغة الشعر ن ترجمة أحمد درويش ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1993
- 16 - حواس بري شعر مفدي زكرياء ، دراسة وتقييم ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1994
- 17 - الجاحظ ، كتاب الحيوان

- 18 - خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة 1984
- 19 - ربعي بن سلامة وآخرون ، موسوعة الشعر الجزائري ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ج 1 ، ط 1 ، 2002
- 20 - ريمون طحان ، الالسنة العربية دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 1 ، 1972
- 21 - زبير الدراقي ، عبد اللطيف الشريفي ، محاضرات في موسيقى الشعر العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1998
- 22 - ماسين بيمون عساف ، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1982
- 23 - ساطع الحصري ، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ، مطبعة الاعتماد ، بيروت ، ط 3 ، (د ت)
- 24 - ساطع الحصري ، أبحاث مختارة في القومية العربية ، دار المعارف ، مصر 1964
- 25 - شكري محمد عياد ، موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ، القاهرة 196 5
- 26 - الشريف مريبعي ، عبد الكريم العقون شاعرا ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر 1997
- 27 - صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984
- 28 - صالح خرفي شعر المقاومة الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979
- 29 - الطاهر يحيوي ، البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 1 ، 1983
- 30 - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ، ترجمة محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (د ط) ، 1982
- 31 - عبد الله ركيبي ، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983
- 32 - عبد المالك مرتاض ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 - 1962) سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54
- 33 - عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925 - 1954) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 1983
- 34 - عبد الحميد بن باديس ، خطب ومقالات جمعها محمد الطاهر فضلاء ، تحت عنوان ، قال : الرئيس عبد الحميد ابن باديس
- 35 - عبد الحميد ابن باديس ، من تراثنا الإسلامي ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، ط 1 ، 1985
- 36 - عبد الله حمادي ، اتحاد الكتاب الجزائريين الأدباء الشهداء ، نشر المتحف الوطني للمجاهد ، 1997
- 37 - عبد اللطيف شرارة ن شعراؤنا (دراسة تحليلية) ، خليل مطران ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1982
- 38 - عبد اللطيف شرارة ن شعراؤنا (دراسة تحليلية) ، معروف الرصافي ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1982
- 39 - عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط 5 ، 1981
- 40 - عز الدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر قضياه وظواهره الفنية ، دار العودة بيروت ، ط 1 ، 1981

- 41 - عزيزة مريدن ، القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي ، الدار القومية ، مصر 1966
- 42- عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر 1995
- 43 - عمر بوقرورة ، في علاقة الشعر الجزائري بالتاريخ أو الوجه الآخر للبطولة ، باتنة ، ط1 ، 1998
- 44 - عمر الدقاق ، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، دار المشرق العربي ، بيروت ، ط1 ، 1985
- 45- عمر الدقاق ، ملامح الشعر المهجري ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، جامعة حلب كلية الآداب ، 1973
- 46 - علي البطل ، الصورة في الشعر العربي ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1981
- 47 - فتيحة محمود ، محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1987
- 48- الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، دار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة ، الجزائر ، ط3
- 49- كمال عجالي ، أبو بكر مصطفى بن رحمون حياته وأثاره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991
- 50- محمد زكي العشماوي الرؤية المعاصرة في النقد والأدب ، دار النهضة ، بيروت ، لبنان
- 50 - محمد زغينة ، شعراء جمعية العلماء المسلمين ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، سنة (2004 - 2005)
- 51 - محمد طمار تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2000
- 52- محمد الطاهر فضلاء من جوامع الكلم لحكيم العلماء وعالم الحكماء ، عدد 87 ، 1985
- 53 - محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر ، مطبعة دار هومة ، ط1 ، 2000
- 54 - محمد العلمي ، العروض والقافية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1983
- 55 - محمد غنيمي ، هلال النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة العربية مصر ، ط3 ، 1964
- 56- محمد غازي التدمري ، التعبير الفني و خلاصة مفيدة لقواعد الإملاء والكتابة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة ، الجزائر ، ط2 ، 1990
- 57- محمد قنانشي ، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة ، (د ، ت)
- 58 - محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925- 1975) دار الغرب الإسلامي ، ط1 1985
- 59 - محمد ناصر ، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة ، الجزائر 1984
- 60 - محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ط1 1992
- 61 - مصطفى بيطام الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي ، المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ، ابن عكنون الجزائر ، 1998
- 62- مصطفى حركات الصوتيات والفونولوجيا ، دار الأفاق ، الجزائر ، (د ت)
- 63- مصطفى حركات ، كتاب العروض المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغبة ، الجزائر

- 64 - مصطفى السعدني البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف الإسكندرية ، مصر ، 1987
- 65 - نعمات أحمدفؤاد ، أبو القاسم الشابي ، الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس طبعة الثالثة 1977 ص 129
- 66 نعيم اليافي ، تطوّر الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث
- 67 نور سلمان ، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1981
- 68 واهيب طنوس ، الوطن في الشعر العربي ، منشورات جامعة حلب 1979
- 69 وناس شعباني ، تطور في الشعر الجزائري منذ 1945 حتى 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1988
- 70 حي الشيخ صالح ، شعر الثورة عند شعر مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 1987
- 71 كتاب الأدياء الشهداء ، وقائع الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء ، اتحاد الكتاب ، الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد

ثالثا - المعاجم

- 1- لسان العرب ، المحيط للعلامة ابن منظور ، معجم لغوي علمي قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط (أعاد بناء على العرف الأول من الكلم) دار لسان العرب ، بيروت ، لبنان
- 2 - جبران مسعود ، الرائد (معجم لغوي عصري) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 1981
- 3- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1979
- 4- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، اسطنبول ، تركيا ، ط 1

رابعا - المجالات والموسوعات

- 1 - مجلة آمال نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ، (شعر ماقبل الاستقلال) وزارة الثقافة ، ط 1
- 2- محمد زغبنة ، الشعر الوطني والقومي عند أبي اليقضان مجلة الحياة ع 2 ، نشر جمعية التراث ، غرداية الجزائر جانفي 1999
- 3 ربعي بن سلامة وآخرون ، موسوعة الشعر الجزائري ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ج 1 ، ط 1 ، 2002

خامسا - الدراسات والبحوث الجامعية

- 1- محمد زغبنة من شعر شهداء الثورة التحريرية (1954- 1962) ، باتنة 1999
- 2 محمد زغبنة ، الوجدانية في أنموذج الزمان ، الحاج لخضر ، باتنة ، 2002 - 2003 ،